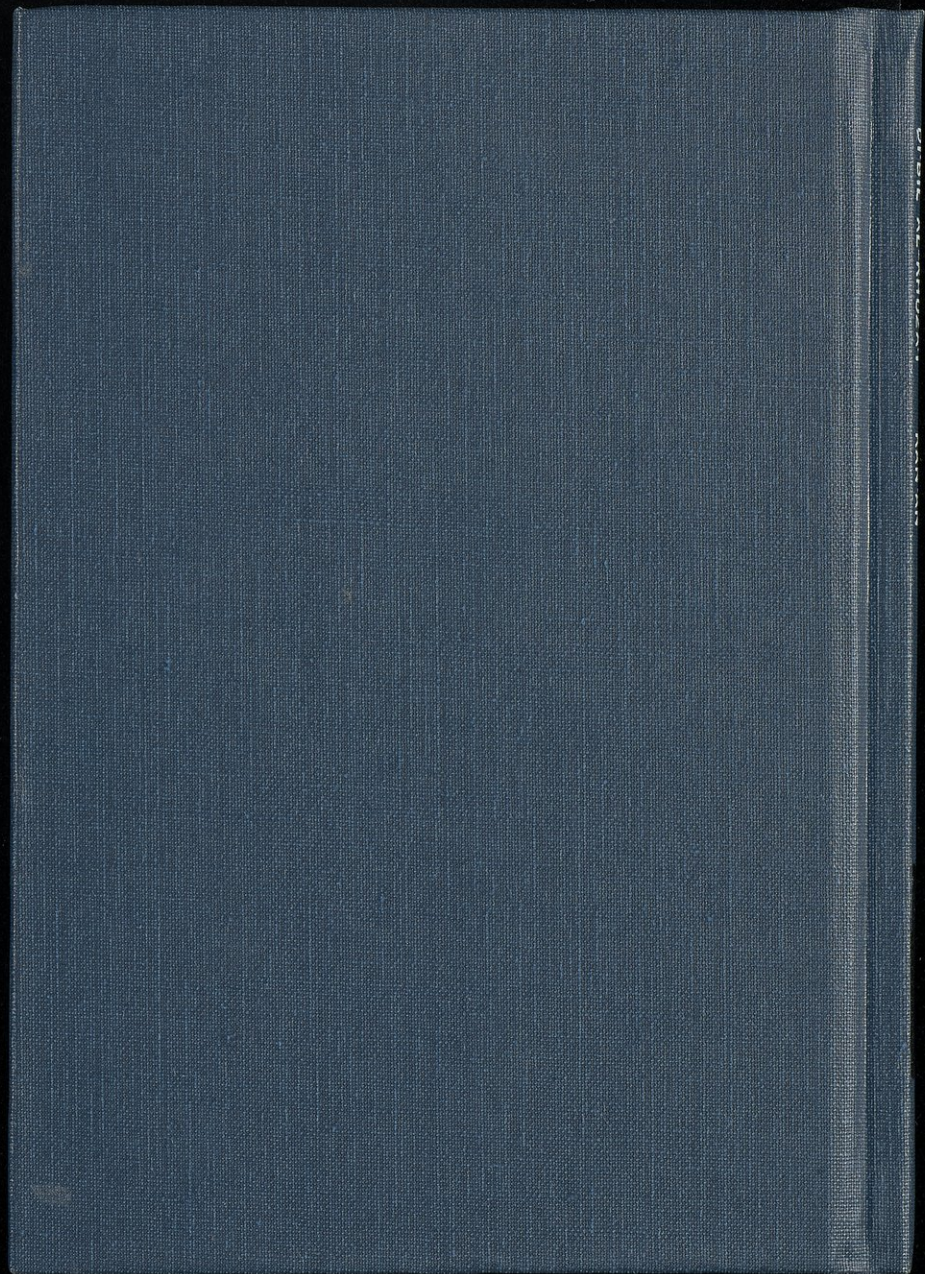
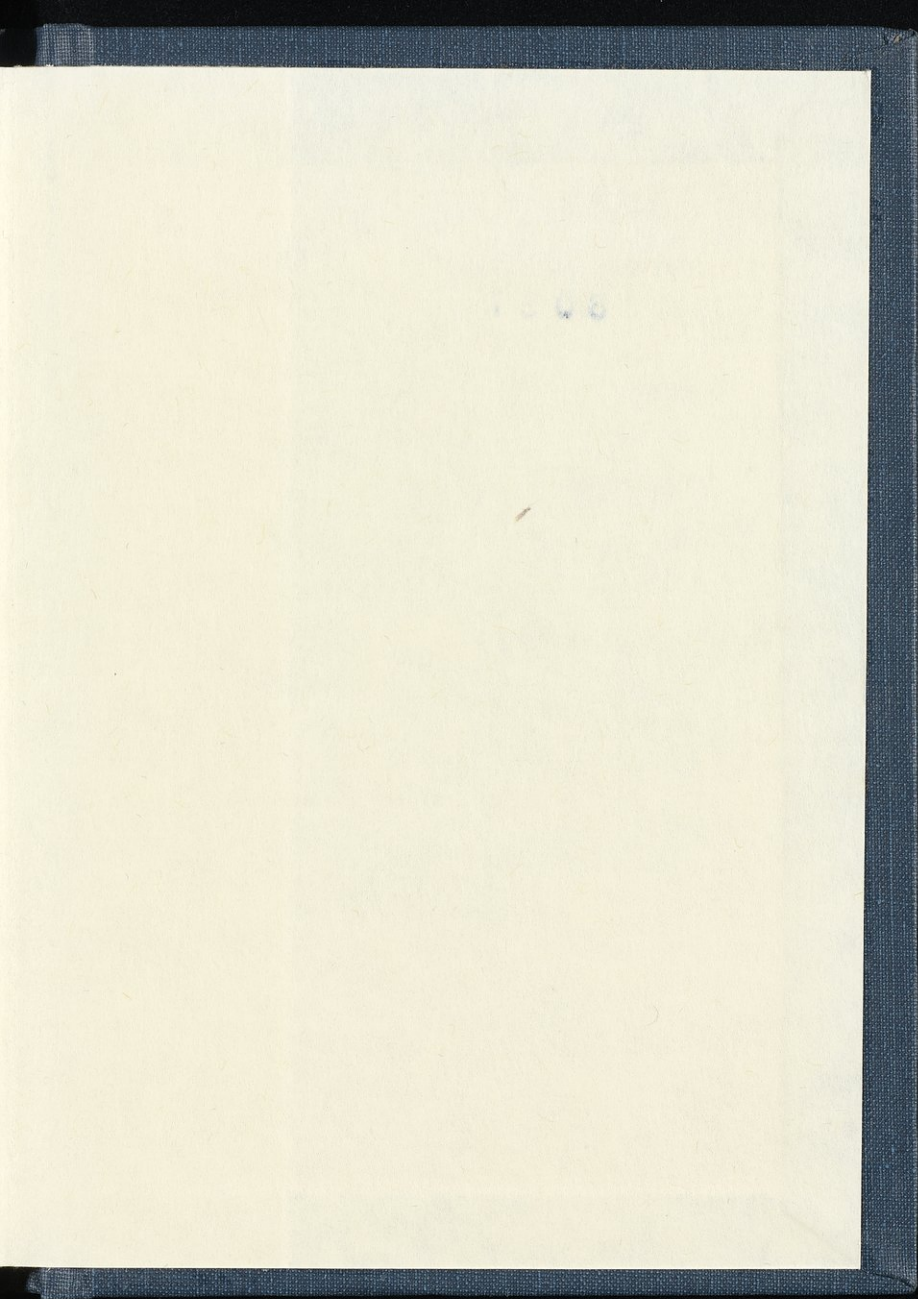






PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR>

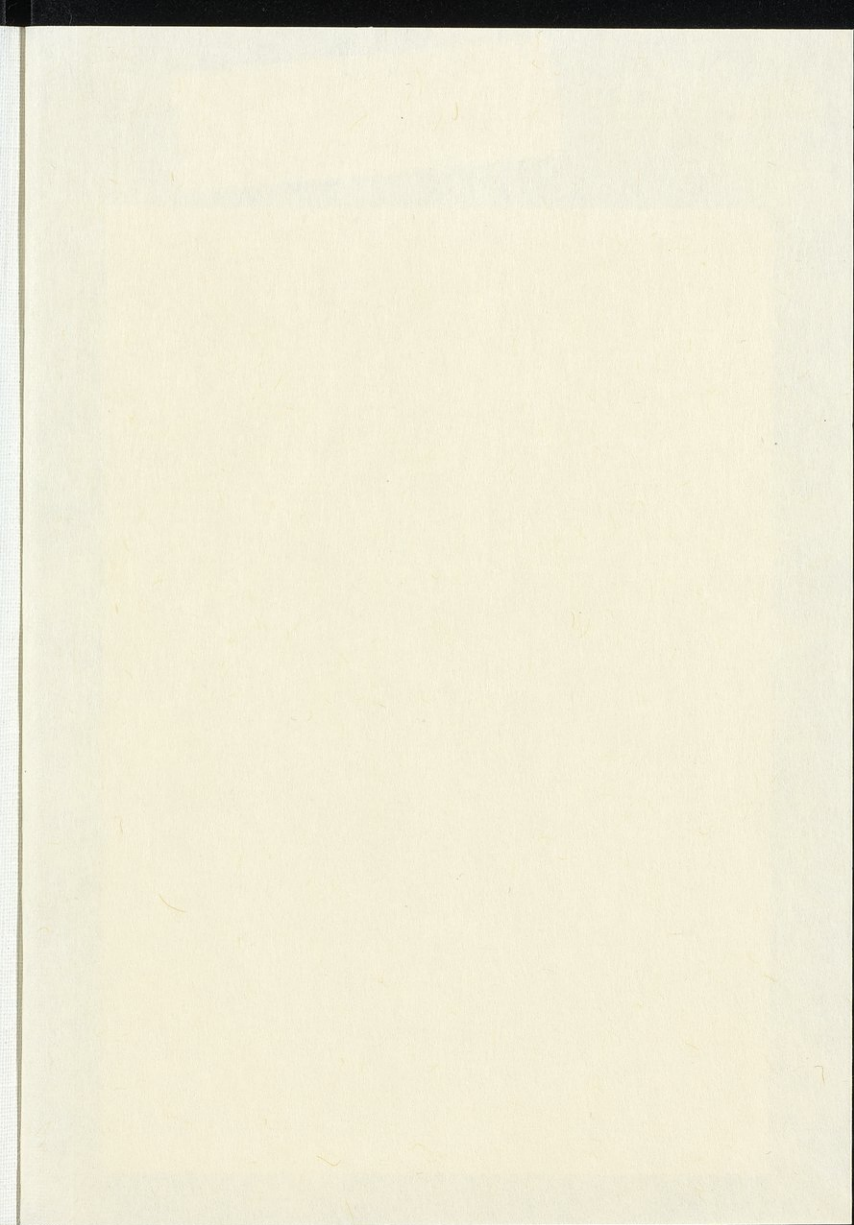


32101 014104622

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

--	--

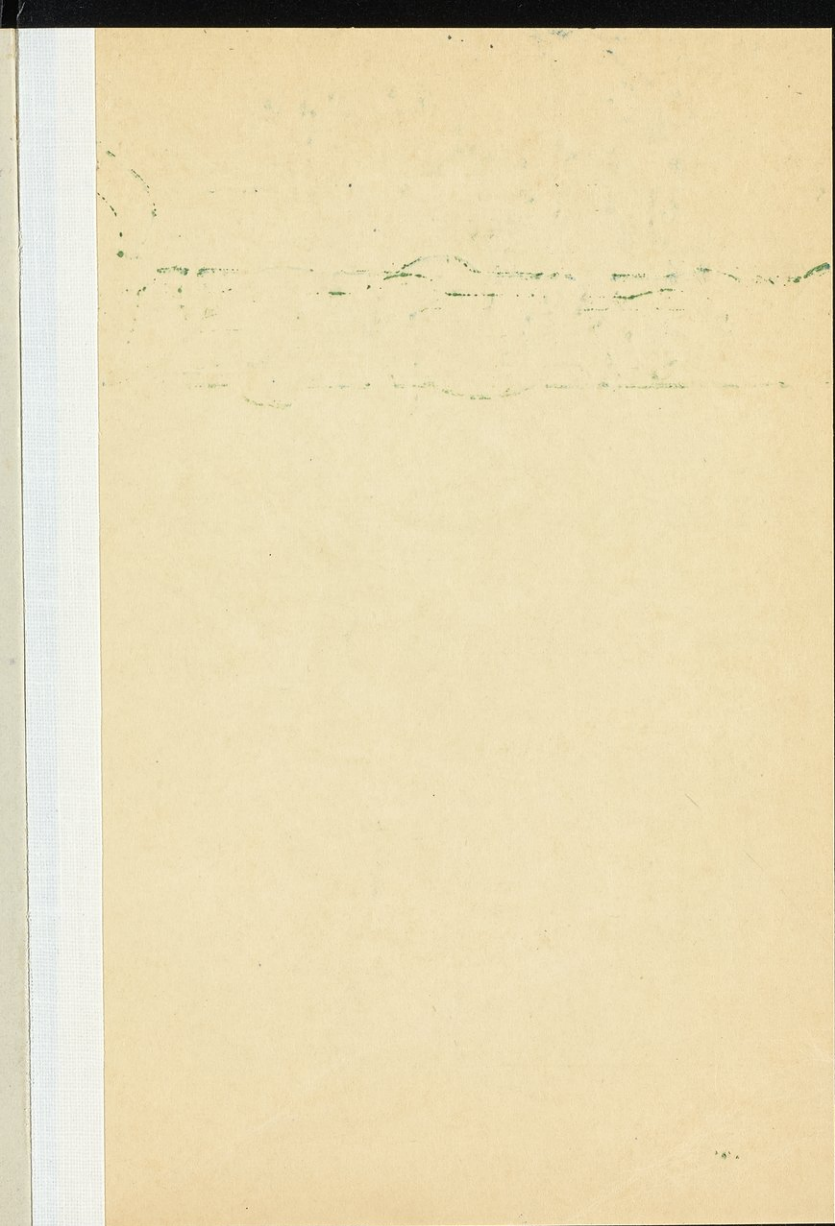


حَدِيثُ الشَّيْخِ



جَرْجَرِ كَنْغَانِ

وَعَمَلِ الْخَنْزَاعِي



جرجيس كنعان

Kan'an

دعبل النخزاعي

- ٣ -

﴿ جميع الحقوق محفوظة ﴾

عميد الشهر

سلسلة كتب شهرية تقدم في مطلع كل شهر كتاباً

صدر منها

2269

2777

752

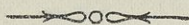
للمعلمة العارضية

١ - مشرقي الأُعلى

خبرية اسم الطوطين

الركنور مصطفى جواد

٢ - أبو جعفر النقيب



الكتاب القادم - ٤ -

الصادق مكرم الكيمياء

يقدمه

الركنور محمد يحيى الهاشمي

يصدر في مطلع الشهر القادم



32101 014104622

المقدم

مهدي بدعل قديم ، يتصل بزمن الصبا والطلب . ولم يكن فيه
للقدم متسع ولا للتدقيق مجال ، فكان مرشدونا اذا عثروا على قطعة
قديمة ، قدسوها لعصمة الاوائل وحرمة النقل . وكانت كتب الادب
تضيق بدعل فلا تظهر منه الا هذا الوجه المكد وهذا الالم الممض .
وكنت ارى في هذه التائية الكبرى - مدارس آيات - سمو ففكر ،
وصفاء سريرة ، وقوة عقيدة ، لا يمكن أن تكون لدعل ، (الهجاء
الخبث الاسان)

ولما اشتد ساعدي وبعد موقع بصري كانت مباحثي تتحطم على
صخرة الحقيقة المؤلمة ، فليس لدعل من مرجع غير كتاب الاغانى
ولا ادري لماذا صب هذا على دعل جام غضبه ، وعرضه هذا العرض
الكريه النابي ، الذي حدانى الى اهماله اعمال من لا أرب له فيه .

عندما نشرت كتابي - الآداب العربية وتاريخها - مع ان مناهج
المعارف خالية من ذكر دعل - لم اجد بداً خدمة للحقيقة والتاريخ
من ذكره . ناقداً قدر المستطاع ، فرأت بعض المجلات ان تنقل ذلك
الفصل وتعجب به . لجدة النشر اذ لم يكن فيه جديد يوضح حقيقة .

ثم أطلعت على ما كتب عنه المعاصرون في المجلات الادبية اللبنانية
والمصرية فلم ازدد به معرفة ، اذ اثر ما كتب الاصفهاني هو الذي
يحفزهم واذا هم تبع لمن تقدمهم .

واتصلت بسلسلة «حديث الشهر» فباحثني شيخها (١) العلامة المفضل
بالأمر فترينت لاراجع مصادر البحث في دعبل واقف على الحقيقة .
فكان وايم الحق ان المثبطات من الادباء والعلماء اصدقائي غدت
تتري ، فأجابه مرأت : مالك ولدعبل ؟ وبعضهم يصرخ : الشيخ دعبل ؟
سود الله وجهه - واكثرهم يردف اسمه بالالقب التي اسبغها عليه صاحب
الاغاني : الهجاء الخبيث اللسان . ثم التعقيب : لم يسلم منه خليفة ولا
وزير ولا قائد حتى قرن بالخطيئة فهجا اهل بيته ولم تنج منه جاريته
ولا اخوه .

صمدت لها وقلت : عجيب ! ما لهذا الشيخ دعبل يتعقب الهجاء
ويرمي عن قوسه المرنان فلا يخطيء ؟ فكان الجواب صريحاً . الاذي
طبع ، والهجاء خلق في دعبل وقد ضربه بعضهم مثلاً للهجاء الطبيعي .
هذه شذوثة قديمة اعرفها في من كتب عن دعبل فلا أنظر اليه

(١) يعني بذلك سيدي الوالد الشيخ عبدالله السبتي صاحب هذه الفكرة
والعامل الأول في اخراجها .
عبد الأمير

بغير هذه العين . فليس له كما كان لبشار من قبج الشكل ، والعمى
والتكالب على الدنيا ورميها بكل قبيج ، باسم الامراء والحكام وكل
من يتصل بهم . وليس له من خلقه وخلقه ما لابن الرومي ليغيظه كل
شيء ، ويفقد صوابه عند كل حادث . ولا مطمع له في اماره أو تسنم
اي منصب كما يفعل غيره ، كما انه غير مغمور الذنب كالخطيئة ، فهو من
خزاعة ، وخزاعة ملء الارض في الجاهلية والاسلام ، قديماً وحديثاً .
أتكون شيعيته الدافع لذلك ؟؟ ما اكثر الشيعة في زمن دعبل !
وما اشهر شعراءها . حتى كان كل شاعر او كل كاتب يتشيع ولو الى
حين . والشعراء لا يثبتون على عقيدة واحدة فما لهذا الشاعر وهذا
الاصرار المعيت ؟!

طبائع الناس جد مختلفة . فهؤلاء الاالى يستسيغون السهولة
ولين العيش ، قد يوفقون وقد لا يوفقون فيرمون بزوايا الالهال ،
كما ان من اولئك المجاهدين الابطال من يثبت للعاصفة الهوجاء كالجبار
رافع الرأس ، ومنهم من ينحني امام كل ريح . فمن ايهم كان دعبل ؟ .
دعبل شاعر ذو عقيدة . اذا هبت ريح الشعر صدق ، فلا تقف
في سبيله عثرة ، خليفة كان خصمه ام سوقة . وعصبية دعبل شديدة

فهو الخزاعي الذي يرى في خزاعة ملء الأرض ، وامراؤها وحماها
في كل صقع من مصر الى الشام الى العراق الى خراسان . من دور
الخلافة ، الى مهاوي القبائل . فهو عزيز الجانب يخشى حتى الخليفة
القوي وثبة قبيلته . وما كان موقف الرشيد منه الا لهذه العصبية
الجامحة كما تحققت .

اما عقيدته فهي راسخة ، وما اقل رسوخ العقائد في عصر دعبل !
وقد امتد مائة سنة - عمر الشاعر - وما اشد تفاوت الطباع في القائمين
على الامر . بيد ان كل ذلك لم يكن ليهم دعبلا فالشيعة الامامية عنده
الهدف والقبلة . وقيام امام يملؤها عدلا لا محالة واقع . وعلى هذا
الرجاء الثابت كان يهاجم بلسانه وعصبية ، وبسيفه اذا اقتضى الامر .
وبالتحقيق رأيت ان مرجع هذا الهجاء هو هذه العقيدة لا غير ، فهي
تقوم عنده مقام الجهاد . وهو فرض على كل مؤمن . ولم يمر في ذهن
دعبل الفتى ، ولا الكهل ، ولا الشيخ الهم ان هناك فروقا في معاملته
الناس ، فالرشيد ، غير المأمون ، وغير المعتصم ، وغير المتوكل ، وكلهم
اذا هضموا حق الايعة ، سواء ، وكلهم يجب ان يساقوا بمصا واحدة .
وليس من امام الا - امام آل محمد - ومن يقول بهذا القول فهو على

حق، وسواه ظالم. وهو موضوع هزء وقمة ولعنة اذا ساق الكلام!
دعبل شاعر. يقول الجاحظ « قال الشعر مدة ستين سنة ، ماذر
شارق الا قال شعراً » وبالطبع كان من ابناء الحياة وكان في عصر الرشيد
والمأمون عصر ابي نواس ومسلم وابي تمام والبحري . فلماذا يعيش
هذا الدعبل الا يد وحده في هذا المحيط الموبوء ؟ لماذا لا يقول غير
الهجاء ؟ ولماذا لا يكون له الا هذا اللقب الشريف ؟ (الخبيث اللسان
الهجاء) !!

نحن نعلم مما اتصل بنا من تاريخه انه كان مرهوب الجانب وان
الامير الخراعي عبدالله ابن طاهر عندما صر في ذهنه أن دعبلا دعي
في خزاعة اخذ على سامعه اليهود المغلظة ، وكل ما يحلف به مسلم
حتى الطلاق ، ولما عاتبه في ذلك قال ياغي اترى دعبلا يخشاني وهو لم
يخش المأمون ولا غيره من الخلفاء ؟

ولما طلب خصومه ان ينفي من خزاعة فوجئوا بالصراحة « ان
دعبلا هو خزاعة كلها ولو لم يكن خزايعاً لادعوه » .

وبعد ألم يقل دعبل في عصبية غير تقيضة الكيت ؟ انها كانت
كما سمعنا ستمائة بيت ولم نعر عليها !.

ألم يقل من الغزل غير هذه الايات التي عرف بها ؟
ابن الشباب ؟ وأية سلكا لا أين يطلب ؟ ضل بل هلكا
ألم يقل في آل البيت الا التائمية وما يأمح اليه ؟
ماذا كان يفسد كل يوم ؟

أكان يتلهم كما كان يفعل ابن سكره فيقول في هجاء جاريته
عشرة آلاف بيت ؟

لم نسمع الا مقطوعة واحدة في تهكمه على جاريته غراب أو غرابال ؟
دعبل شاعر متفوق بشهادة شاعر العصر البحتري . فضله على
مسلم بن الوليد وهو امير الشعراء . وعندهم انه يجساري ابا نواس
وقد بزه !

وشهد المأمون ان دعبلا اشعر شعراء خزاعة ومنهم ابو الشيص
ورزين وعلي بن رزين وطاهر بن الحسين وعبدالله بن طاهر وغيرهم .
وجميعهم ليسوا بطبقة مسلم وابي نواس وحسب دعبل ان يتبوا
تلك المنزلة . لم نسمع ذكرا ابني نواس في احاديث دعبل ولا فيما يحوم
حوله وقد يكون هذا طبيعياً فقد يكون ابو نواس مع ميله الى عدم
الخطر في الدين ، يرغب في الدنيا ويبعد عن مزالقها الحزبية وقد جرب

مرة فساهم في مشادة العصبية فكان نصيبه السجن .

لماذا لم يسجن دعبل كما سجن غيره ؟ !

ألا أنه كان يهرب ؟ وإلى أين يهرب ؟ وكيف يهرب وهو في بغداد وفي الكوفة حتى في خراسان ؟

في هذا الكتيب الذي اعرض : اجتهاد في حياء دعبل ، ونقل ما اطمأنت اليه نفسي من شعره ، ونقد ما رأيته على غير وجهته ، واكثر من روايته الشعر لاقتدار الناس الى شعر دعبل ، واظهار الوجه الابيض من هذه الحياة ، والطلوع على العامة بأثر هذه الشدة التي كان يقاسيها اصحاب العقائد .

انا لا ادعي احياء ذكر دعبل فله ، من تأييده ، ما يخلده في ذهن كل اديب . ولا ادعي اني جلوت كل غوامض ملايسات دعبل فعمر مائة سنة يحتاج الى كتب عديدة وجلد طويل ومراجعات في مهمات التاريخ والآداب ، واذا وفقت الى توجيه من يهمهم الامر في هذه المغلقات اكون قد حققت بعض الامل وما اصدق قول دعبل .
اني وان قلت بيتاً مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت

ثقافة الكوفة

منذ مصرت الكوفة والبصرة ، أصبحتا قبليتي البادية ، وامتازت
كلتاها بالشعر والعلم .

ومنذ اتخذ امير المؤمنين ، علي بن ابي طالب ، الكوفة قاعدة
الخلافة ، ظهر الفرق بين المدينتين . فكانت البصرة ومربدها ومسجدها
مرجع الاعراب والشعر والكلام ، وكانت الكوفة دار العامل
وموضع النزاع الشديد في الآراء ، فهي مقر الخوارج ، ومرجع
الشيعة ، وفيها اضطرت الدعوة العباسية ، وفيها رأينا علماء الحديث
والفقه ، وبين هذه المنازعات الشديدة كانت دعاة الى الافكار الحرة ،
وقام الاجتهاد على ساق وقدم . فكان إن ضاقت على شاعر سبيله يعم
الكوفة فرأى متسماً في التفكير وهوادة في الحياة .

كوفة الجند ، أصبحت قبلة أهل التفكير زمن بني امية ،
ومرجع كل ما يتمض مضاجع الخلافة في الشام ، ومهوى افئدة اصحاب
النزعات التحريرية من العرب والمعجم .

لا يخفى ان مكان الكوفة قد اختير قبل الاسلام لموقعه الجميل
فكان مقر المناذرة ومنازهمهم . وكان في الجاهلية مرجع الشعراء وفي
الحيرة كان عصر النعمان الذهبي ، وما الحيرة الا الكوفة .

بين هذه المناحي المتعددة ، ظهرت الدعوة لآل البيت ثم ما لبثت
بعد نجاح الثورة ان تغيرت كلمة آل البيت او توسع في فهمها فاذا
البيت المالك ، البيت العباسي . واذا هؤلاء الذين كانت تهفو افئدتهم
حباً لآل البيت ، من ابناء الامام علي ، لم يزالوا كما كانوا زمن بني
امية ، موضع حرمان ، وموضع اضطهاد وقتل وتشريد . لذلك رأيناهم
ناقين حاضين على الخروج .

ورأى الخليفة العباسي الاول ان الكوفة - مقر الدعوة لآل
البيت - لا تنهياً للاقتناع بهذا التحول المفاجيء ، فهرب الى المهديّة
كما هرب من قبله الحجاج الى واسط . ثم نرى بغداد وهي ابعد من
المهديّة عن الكوفة تسمى دار الخلافة .

ومع ذلك كانت بغداد ترى في الكوفة مرجعها الثقافي والخلقي
والمذهبي فيرى الخليفة في علماءها مرجع الثقافة ، فيختارهم لتعليم
اولياء المهود وتثقيفهم ، وفراهم يقرب شعراءها ويسأل عنهم واحداً

واحداً . وكانت الكوفة باب بغداد فما رأينا شاعراً ترك البادية .
دون ان يمر بالكوفة قبل ان يصل الى الخلفاء .

* * *

في زمن بني امية اشتد النزاع القبلي فكانت القحطانية ، وكانت
النزارية وكانت دمشق الشام مربع الخلافة . ولم يكن فيها الشعر الا
بمقدار . بل كان الشعراء يقدون عليها ، ثم يعودون الى البادية . وان
استقروا ففي البصرة او الكوفة ملجأ البادية . ونرى بالتدقيق ان
مقر النزارية كان البصرة بينما القحطانية تلجأ الى الكوفة ولهذا
التفريق اصول واجتهاد ، فالنزارية اموية ، وهوى القحطانية منذ
القديم مع آل البيت . وهذا قول مجازي فقد يكون قحطاني في
البصرة او نزاری في الكوفة والناقد يرى ان ربح القحطانية في
الكوفة ظاهرة . وان هؤلاء الضعفاء في عصبيتهم القحطانية كانوا من
شعراء الكوفة . وكان رأسهم في عصرنا هذا خلف الأحمر . وهو
يوجه هؤلاء الناشئين من الموالي ليختاروا موالاة القحطانية وبهذه
الروح يجب ان ندرس هذه العاصفة في ظهور هذه القصائد الطوال
في المفارقة بين القحطانية والنزارية . وبهذه الروح يجب ان ندرس

المناقضات بين أبي نواس وأتراكه وبين دعبل وإبي سعيد الخزومي
ولداهم .

وبهذه الروح يجب ان نفهم هــ هذا الاضطهاد المنصب على شعراء
القحطانية في بغداد وهذا التثريد والسجون . ! فكم تأفف سار بين
العصبية مما كان يقذفه ذلك الشواظ من الشعر ؟ وكم وضع من شعر
وكم نحل ؟ ويكون ان العصبية الجنسية ، قد وافقت العصبية المذهبية ،
ولا حد فاصل في الاسلام بين السياسة والمذهب .



في الكوفة ، وعلى مياهها ومنازلها ، كانت ظاهرة اخرى ، هي
هذا التساهل الحضري في مسالك الحياة فاذا كان في البصرة تزلزلت
وجفاء في البدو تقرضه طبيعة البصرة الصحراوية ، وما يبعث الى هذا
الجفاف ، من الخلق والتخلق ، فقد كان في رياض الكوفة وارجائها ،
وقيام الاحزاب السياسية وتألفها ، ومقر المجوسية الفارسية ، وما
تدعو اليه هذه الحضارة ، وهذا الغنى وهذا الرقيق المذكر والمؤنث
وهذا الاختلاط والامتزاج من الملازمات قد كان من كل ذلك ، ان

رأينا الحر والقصف واللغو حتى الزندقة تجاوز هذه الحياة الدينية
الرضية ، وهذه المسالك التقوية المذهبية .

فمن اراد ان تخدمه الحياة ويخدمها فليترك البصرة الى الكوفة .
ومن أحب التفكير الحر المجدي فليعاشر هؤلاء المجازفين في الكوفة .
وليطلع على حياة الادب واللغة والفقه ثم المذاهب الاسلامية .
وبالاجمال فلتكن التنشئة في الكوفة واطهار المعرفة في بغداد
دار الخلافة . وفي هذه المائة سنة من الدور العباسي الاول كانت الكوفة
كنز علومها ، وزهرة آدابها ، وروح ثقافتها ، ومهوى أفئدة أهل
العلم فيها ، وينبوع حضارتها ، ومستمد وحيها .

دعبل بن علي

١٤٨ - ٢٤٦ هـ

في السنة التي توفي فيها الامام جعفر بن محمد الصادق وولد الامام علي بن موسى الرضى ولد في الكوفة على الاشهر لعلي بن رزين الخزاعي غلام ملاء قرنا كاملا بشعره واخباره عرف بدعبل . وسيان القبا كان دعبل ام اسما انما عرف به .

كان ابوه علي شاعرا مقلا . ولم يكن من الاغنياء حتى ولا المكتفين . فرأينا الغلام دعبل يترعرع بين احضان الفاقة ، كما يصرح من ترجم له . وكان يألف مجالس الكوفة بما فيها من علم ومن حزية مذهبية ، وكان كني خزاعة يرضع حب أهل البيت ، ويتشيع لهم بحاسة وشدة .

كان شاعرا ملء اهابه . ولم يكن يملك عواطفه . فكان يسير على هواه وقد يكون جموحا . فكان يألف أهل الحاضرة وينغمس في تصرفاتهم ، ويختلف الى الشعر واهله حتى في البادية ينهل من ينابيعه ، وعصره هذا عصر الشعر والادب ، وعصر المذاهب المتباينة هذا

العصر هـ - وعصر الجاحظ وابي نواس ، ومسلم وابي تمام والبحري
واضرابهم . انه لعصر حافل بالآثر . هو عصر الحياة الرافهة والغنى ،
والرقيق والغناء والشعر ، هو عصر يليق بشاعرنا وهوواة الجامع
وعقيدته الصلبة .

قد يكون ولد في غير الكوفة ولكنه الف الكوفة وهو صغير
وترعرع فيها وربما لقي فيها مسلماً صريع الغواني - او كما في اكثر
الروايات لقيه في بغداد - وبغداد هذه ترب دعبل . فقد تمت عمارتها
عام ولد . وقد كانت دار اقامة له أودار ملجأ على الاقل ، أو مناوبة كما
يكون لهؤلاء الشعراء الذين يطمعون في دور الخلفاء .

اما هـ هذا الفقر الذي يرويه عبدالله بن طاهر الخزاعي وانه كان
وهو غلام يجتمع الى استاذة مسلم في ازار واحد فلم يكن يضير عبقرينا
فكم من العباقرة نشئوا هـ هذه النشأة ، ولكن الشعر والفظنة والدكاء
حقيق بتغيير كل حال .

واتصل خبر شعره غناء بالخليفة - وكان الرشيد - فقر به واجازه
فأصبح الشاعر مترفاً ذا اموال ، واقتنى كما اقتنى غيره من طبقة
- مسلم وابو نواس - الغلمان المغنين واستهتر حيناً ومجن احياناً ، ولكن

عقيدته ثم تترعنا ع يوماً ، وكان له من كل مساهمة أهل العصر ونعمهم
ونعمهم ، أما يترجم كل لغة ، ويقري لغة ، المشط الذي يرفع كل غامل ،
وهذا الطموح الذي يهيب البكل ، نفس شملها ، إلى بحالي ، طليان ، كانت
أصبت عيني ، دعييل ، كانت ، تواليل ، الحيان ، فيقال ، يتغير ، باسم ، الحلقه
أو الامير ، ثم لا كفور ، لا فلا ، حين ، ولا ، يصغر ، بل ، ينك ، الهل ، فيمنعها ، إلى ،
بها ، وان ضاقت ، به ، بل ، ان تجل ، إلى ، أخرى ، وارض ، الله ، واسمة ، الفضا ،
لم تكن ، السكوفة ، مما ، يستطاب ، له . وان قيل ، في تركه ، ايها ، لا ، قول ، لم

وكان ، عهد ، فتن ، واضطر ، ابان ، ودعوات ، ولوق ، في ، مآله ، في ، سقوط ، طه ،
هو ، لاء ، النيهام ، يتخذون ، من ، الحج ، إلى ، بيت ، الله ، الطر ، لم ، شئنا ، في ، دو ، في ، سلة ،
في ، كان ، دعييل ، منهم ، في ، حج ، في ، هذه ، الاضطر ، ابان ، روم ، كانت ، الحن ، في ،
الأمين ، والمأمون ، على ، ابواب ، بغداد ، ثم ، تحول ، إلى ، ما ، في ، فقل ، على ،
المطلب ، الخ ، اعني ، فيه ، ثم ، تنكرا ، إلى ، حتى ، اتو ، ك ، لواع ، ما ، و ، ما ،
العراق ، ومنها ، إلى ، خراسان ، في ، حيث ، كان ، المستاذ ، فاسل ، فاسل ،
سهل ، في ، خلافة ، المأمون ، قد ، اثرى ، واصبح ، في ، اليك ، على ، جري ، في ،
تتحقق ، في ، كونه ، وكيف ، يمكن ، في ، ان ، يرضى ، من ، في ، في ،
مسلم ، على ، الاقل ، فكان ، الجفاء ، وكان ، التناكر ، في ، .

وفي هذا الوقت لقي الامام علي الرضى في خراسان فأنشده
- مدارس آيات - آية العصر واتصل برجال الخليفة ثم كر راجعاً الى
العراق ، الى بغداد ، والى الكوفة ، والى البصرة ، والاهواز ، والى
اصقاع بعيدة . يقول الشعر ويألف الحياة وقد طالت عليه . ولم تعطه
بل كان شأن الشعراء الذين يسرون في موكب الحياة الجامحة وينسى
العمر وينسى متطلبات الحياة ويحسب ان زمن المأمون وحببه له
ولمذهبه يخدمه حيث كان .

واتصلت به منذ صباه هذه المناقضات العصبية بين النزارية والقحطانية
فكان يدفع عن مذهبه السياسي - الخلفاء والامراء ، يهجو من يهجو ،
ويمدح من يمدح ، ويقف من أعدائه في هذه المناقضات موقف النذاعنيذ .
وتمتد ايامه ويزاد في شعره ما يعرضه للاهوال حتى كانت
الواقعة فدخل وهو في الثامنة والتسعين ، البصرة وعليها احد الامراء
العباسيين ، فلقى القبض عليه متعصباً للنزارية ولم يدفع انكار
دعبل الشعر الجلد والمهامة الشاذة السيئة ومع ذلك لم يمت تحت
الضرب بل فر من الموت حيث لقيه احد القتاك في احدى قرى السوس
فضربه بعكاز مسموم . وهكذا انتهت هذه الحياة الضخمة الطويلة .

حادثة

ان كتب التاريخ والادب مع كثرتها في العربية ، لا تفي بالمرام ،
فهي معادة مكرورة وكلها تستقي من مورد واحد او موارد قليلة .
وتاريخ هذا العصر الادبي يكاد ينحصر في اخبار الاغاني الكبير
للأصغراني . وله وجهة خاصة ، مها يحسن ظننا في تحقيقه ونزاهته .
لا يمكننا ان نركن اليها كل الركون . وخاصة في اخبار هؤلاء الذين
يجنحون الى الشعر في مسالكهم ، فتراهم يميل مع هواه ولا يحفظ الا
هذه الاخبار التي تهدف الى السلبية . فقد روى في كتابه أكثر
ما يعرف عن شاعرنا ولكنه خص القسم الاكبر منه في علاقته مع الخلفاء
وهجائه لآثاره ومن يتصل بهم عصبية قبلية أو مذهبية . ولم يذكر
عن هذه الحداثة إلا ما جعله توطئة لغايته . وعن الاغاني اخذ من
كتب بعده ، وجئنا في هذا العصر نلتقي انواراً على هذه الظلمات
ونرجع فيها الى صرارة العلم الصادقة والنقد الصحيح فنسكاد نعتز بالقنوط
من بلوغ الغاية ، وما لم يدرك كله لا يترك جله ، فلنظمين الى

ما وصلنا اليه من جلاء مبهمات شاعرنا.

فيما بين ايدينا من كتب الادب انه اظهر وهو حدث في الكوفة،
وانه كان يألف الشطار فيها ونرى هذه الصفة تذكر كثير من النوافل
فقد ارادوا في الحماة الراوية من المتقدمين والمتأخرين من وقالوا
عن علي بن ابي طالب انه كان في فاقة وان هذه الفاقة قد دفعته لسلوك هذه
الطريق الواعرة ولا كواب هذه المخاطر. ولا ريب انما هذا الله حين لا
يستطيع هو ان ينفذ كان يتشغل في وقت قتل مع رفيق له احب الصغار في قتل
وانه ففر من الكوفة الى اترهات، وامر بجمع اليها الابل بعد ان مات أهلها
القليل فوهم يكن من يطلب ايديهم في دهركا له في عشاها ان يصيد
وقالوا في رواية اخرى انه جنى ابله في الكوفة وهما غلامه
فاخذوا رئيس المشركين وحبسوا ابله فاعطاهم سليمان ابن ابي رزاق في كفا فيهم
وقال اظهر به انما خفي من ابي ابله خفي غريب في قطع يده فلعلم ان ابله
بضربني غلامي ثم ظلم به ثلاثا في سلوط فخرج من الكوفة فلم يده خطاه الى
عن يرا لعل الله له آياتا في قتل هذا الله في لشج دمه ببت
له هتله الزاوية عن الاغاني الوصفية يعلم انه عندما آجني الجنابة وكان
غلاما والغلام ليس عليه خطه ثم يذكر ان الجنابة توجب قطع اليد ولا

يخفي سماعي بالهي تمت بنواشبة فة فشبك الى قتل الصغير في وقت مخرج
من الكوفة والى برجع اليها الا عزيزاً فليكون القول انهم لم يرجع إلا
بعد ان اصبح الشاعراً ثم موقايسه ذلك سنة اربعين من بيعة قريش
منه قد تكوّن له هذا الرولة في حيدرة فاعلمنا ما طيبة الجمل وليس استيقنا
ألبسك ما ينفعها نولقد ضاع أكثر من مائة من شيوخ هذه الروايات وهذه
وفيه بين يدي معالي الشعر من علم أكثر على شعره الاول ولا على احاديث
كثيره صالحة يمكن ان يرجع اليها ما به رسله في راسه كما راها
ولعلنا من خبره فسطر له في رواه في الحسن بن غليل النوري، عن عمرو
بن شيبان عن ابي خالد الخزاعي ويقول النوري «وقد كتبت عن ابي
سأله اشياء كثيرة ولم اكتب عليه هذا الخبر» فهو يشك فيه كما ضمننا،
وما دام ابو خالد الخزاعي يروي الرواية لعرو بن شيبان فهو لا يعتد
على احكام النوري فالولكن له ههنا الذي لم يمتدح ذلك قبله في استطاع
ان يثبوت له هذه الرواية في نسخة من نسخة ١١٢٢ هـ في نسخة ١١٢٢ هـ
والصنف الاخوان بين التصريح في الجارية هذه او هي القتل والتعريض
بالرواية الاخرى وهي الشربة فهو ضروب من شك أيضاً ومع ذلك فلا يصح
الشاعر ان يكون قد فعل ذلك وهو الغلام غير الا في شطاع ان يميز طريق الهدى

ولا سيما وهو في محيط كمحيط الكوفة فيه كثير من الموبقات .

بقي ملازمته وهو غلام لمسلم ، ومسلم من تعلم من الشعراء وليس من فرق كبير بين سنيهما فقد كان مسلم سنة ٢٠٢ هـ كهلا كما يدعوه الفضل بن سهل عندما انشده ، وعمر دعبل في ذلك العصر ٥٤ سنة وهو سن الكهولة او يزيد فقد يكونان لدتين . وكان مسلم من شكول دعبل فقد ذكر لنا انها كانا في فاقة وهما في عنفوان العمر وقد احتاجا الى الاتفاق على مجلس طرب ولم يكن لدعبل بيت يأوى اليه فأم بيت مسلم - وهذا كان من الفاقة بحيث باع منديلا لينفق عن الطعام فقد اجتمعا على الشعر وعلى الفقر .

وبالاتفاق كان مسلم استاذاً لدعبل وعليه تخرج ولكنه سلك طرق الاعراب ولم يخرج خروج مسلم في مطاوي البديع وتكلفه .
فهذا الغلام - قليل الاخبار زمن صباه - كان يتحفز لاحتلال مكانه اللائق منذ صغره . وكان يروض نفسه على الصعاب . ويتفقه في الشعر ويعاشر الاعراب ويأخذ عنهم - ويروى اخبار الفحول من القدماء . ويتمرس بلامات ويرمي بنفسه كل رمي . حتى ظهر ففاق استاذة مسلماً بشهادة شاعر العصر البحتري .

اتصاله بالرشيد

هذا العصر عصر العلم والشعر يتشابه فيه منشأ شعرائه الفحول
فقد رأينا ابانواس وابا العتاهية وغيرهما يبدئون حياتهم علماء ثم
ينتهون الى الشعر وهكذا بدأ دعبل. فقد أراد ان يكون عالماً وحضر
مجالس العلم والحديث واراد ابن أخيه ان ينسب اليه رواية الحديث
فلم يثبت التحقيق صحة ذلك . وبقيت لنا هذه المحاولة التي تمر في
تاريخ كل نابغة .

ثم ظهرت ناحية تفكيره فكان شاعراً وهل يستطيع الشاعر ان
يخفي فنه ؟ فقال الشعر ونشره . وكان من هذا الشعر الكوفي المحجب
الى النفوس الذي يستسيغه الغناء حتى كبار المغنين كابن جابر وابن
المكي وكان يصلح ليفنى به الخليفة وهذا هو كما اتصل بنا .

أين الشباب وأية سلكا ؟ لا ، أين يطلب ؟ ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سلم ما بالشيخ منقصه لا سوقة يبق ولا ملكا

قصر الغواصة عن هوى قمر

وعسدا باخري عسى يطلبها

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

يا ليت شعري كيف نوهكا

لهم يتصل بالرشيد هذه الشدة فكيف يكون علامة؟ لا شك في شيء
والملاحظة الثانية أنه قد ما لم يجمع به وأنه من خزانة - أرسل إليه
الجائزة : وأوجب العلامة في مركب من مركب ، والمركب الكبير للتعظيم .
ولمّا في هذا التعظيم ولم يكن قد سمع به ؟ بل لا في الشكر في

عصر فيه ابن واس ومسلم وطبقتهما ؟ ان معشاة في شدة ومسلم
سما بالطبع لا نرى في شدة . وفي هذه الحالة ان شدة انه تمسك
وام يثبت ان الرشيد كان يسمح لهذه الطبقة من الدعوة فيجب

ان يكون ذلك ان اخذ اعمى هو الذي أوقف هذا الموقف لا
يتفق هذه الالبيات هي قول قصيدة في المديح على الطريقة المعهود
فما هي البقية ؟ وهل يمكن ان يكون مثل دعبل لمعروف في عهد الرشيد
ويقول مثل هذا الشعر ويأتي الرشيد ولا يمدحه ؟ وإذا كان قد مدحه
فأين قصائد المديح ؟ ضاعت بضائع شعر دعبل .

اما انه انشد الابيات فلا خلاف فيه . واما ان الرشيد قد سمعها
واحضر دعبل ليتعرف اليه فهذا لا شك فيه . وكان ذلك في زمن
البرامكة على الأقل لأننا رأينا دعبل يري البرامكة مع شدة الرشيد

وتحريم ذلك على الشعراء . وكم نتوق لأن نعرف رأي دعبل في فعل
الرشيد ومعاملة البرامكة . ولكن الجرأة على رثائهم لا تخفي رأيه فيهم .
أما هذا الذي سماه المسعودي رثاء فلم يذكر منه إلا قوله .

الم تر صرف الدهر في آل برمك وفي ابن نهيك والقرون التي تخلو

والمسعودي يتذوق الشعر على أصوله والا كنت اشك كثيراً في
نسبة هذا البيت الى الرثاء فهو في موقف عبثة ويمكن ان يكون بعد
البرامكة وبعد الرشيد والأمين .

وعلى كل حال أصبح دعبل شاعراً زمن الرشيد ينظر اليه ويحترم
وقد أصبح غنياً ذا أموال يألف بفسداد ويتردد الى الكوفة ويقتني
الغلمان المغنين وما يلزم ذلك من رفاه الحياة وميسورها .

المطلب الخزاعي

هو المطلب بن عبدالله بن مالك الخزاعي - امير من امراء خلافة العباسيين تولى للامين مصر سنة ١٩٨ - ٢٠٠ هـ ثم انتقل منها الى بغداد فكان يوم عمت بيعة المأمون في بغداد . وهو شيعي على مذهب الخليفة . ثم لما حدثت فتنة ابراهيم بن المهدي ، رأيناه على رأس الحزب ، يأخذ البيعة لابراهيم .

ثم لما تقدمت جيوش المأمون الخليفة نحو بغداد خان ابراهيم وجعل يعمل للمأمون ويتمقب ابراهيم ليقبض عليه .

لم يكن المطلب وحيداً في هذا العصر فقد كانت حياة السياسة مضطربة . وامسى الخداع والتلون الحراوي من سمات هؤلاء القادة .

كان هؤلاء المتحرجون ، أصحاب العقيدة الصلبة ، حيارى لا يدرون ما يفعلون وتكون سنة ١٩٩ هـ والحالة في بغداد على اشدها من الفوضى والهلع ، وجيوش طاهر بن الحسين ، وهرثة بن أعين تضيق الخناق على الامين واجناده، وهذه الشدة على البلد وهذا الغلاء الشديد وتحكم الشطار والعيارين . وفي الكوفة دعوة لابن طباطبا

ولا يؤم . وهذا هو الاقذاع في الهجاء ، وهو أمر الهجاء
 لما دخل مصر لم يكن المطلب سمع بهذا الهجاء ، وكان دعيل
 واخوه قد اخذوا كتب وصاة الى المطلب من لهم عليه يد . مما يدل
 على ان معرفة دعيل به غير عريضة وانه اي المطلب يعمل بهي السياسة
 الجزية ، فاستقبلها بكل اتراب ووقف دعيل بمدحه من قصيدة
 العبد مصر وبمجدد مطلب بلخصيا ترحو الفنى ان ذل من العبد
 ان كان ونا حثنا بامرته . ان واحد ونا حثنا عظم
 ورأيت له من قصيدة فلان ما ناهى له « ما بقى ربح قبلها
 فمنا المطلب سـ قيت زمانا . ما كنت الا ووضه وحنانا
 ما كل الزدي الانماك تكاف له ارض بعدك كائنا من كانا
 اصلحتي بالبر الى افسدتني فتركتني لتسخط الاحسانا
 امل المطلب فأكرم دعيل واخاه وزماه ونالا جوائزه وأخير آ
 بلغ دعيل مناه فقد ولاه المطلب على أسوان . ولا أدري ما الذي كان
 يحجب الولاية الى هؤلاء الشمره في هذا العصر ؟ فهذا مسلم قد رضى
 بولاية جرجان وهذا ابو تمام قد رضى ببريطر الموصل وهذا دعيل في
 اقصى الارض يتولى أسوان .

ثم علم المطلب ان دعبله قد هجاه وقيل غير ذلك . وهو لم يثبت
عندي . ففضب كل الفضب وهو يحسب ان هذا الهجاء كان بعد
الولاية ، وانه جازاه جزاء سنهار . فانفذ اليه - كتاب العزل - مع
مولى له وقال « انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فأذا علاه فأوصل
الكتاب اليه وامنعه من الخطبة وانزله عن المنبر واصعد مكانه » .
فلما ان علا المنبر وتنهض ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل
« دعني اخطب فاذا نزلت قرأته » فقال « لا قد امرني ان امنعك
الخطبة حتى تقرأ » فقرأ وانزله عن المنبر معزولا .

هذا عصر عنف واوهم ، فكان يمكنه ان يعزله بغير هذه الطريقة
الجافة وماذا نتظر من دعبل بعد هذه المعاملة ؟ إلا ان يدميه بنباله
الحادة ؟ فما لبث ان ترك مصر ورجع الى العراق وهو يقول :

أطلب أنت مستعذب	حميا الافاعي ومستقبل
فان اشف منك تكن سببة	وان أعف عنك فما تعقل
ستأتيتك - إما وردت العرا	ق - صحائف يؤثرها دعبل
منمقة بين أئنائها	مخازر تحط فلا ترحل
وضعت رجلاً فما ضرهم	وشرفت قوماً فلم ينبهلوا

فأبهم الزين بين الملا
 أم الباذجاني أم عـامر
 تعلق مصر بك الخزيات
 ويوم الصراة تحسيتها
 توليت ركضاً وفتياننا
 صدور القنا فيهم تعسل
 فقوله فتياننا مؤلم اي يجب
 أن تشرف خزاعة لا أن توردهم
 موارد الهلاك .

إذا الحرب كنت أميراً لها
 فمنك الرعوس غداة اللقا
 شعارك في الحرب يوم الوغى
 هزائمك الغر مشهورة
 فأنت لأولهم آخر وأنت
 لآخرهم أول فحظهم منك أن يقتلوا
 ومن يحاربك المنصل
 إذا انهزموا عجلوا عجلوا
 يقرطس فيهن من ينضل
 والمطلع يرى أن هذه القصيدة قيلت في العراق بعد أن أصبح
 المطلب معادياً للمأمون تحارب جيوشه لأبراهيم بن المهدي .

ثم رأينا المطلب يغير رأيه وينضم الى المأمون والى الشيعة فنرى

(١) هؤلاء موالى المطلب وعماله .

دعبلًا قد رضي عنه ووافق المطلب فدعاه اليه فلما دخل عليه قال
« يا الله لا تقتلني لاجل هذا » قال دعبل « ما شئتني الا ذاك ولا تقتلني
جاءك » قال « قد جئتك الله هذا احمى من الاول » ثم وصله فخلع من
يدحه ما عاش. وبعد هذا رأينا من مديحه في قاصدا ١٠٠
سألت الندي لا عذمت الندي وقد اكل من متنا زمانا غريبا
فقلت له مظل اعرج من اللعان فبعد غيبته بالله أم لم تغيب
فقال بلى لم ازل غائبا ولكن قدمت على المطلب امة
او مع ان هذا المفعي قد تم المفعي الا عفى فقد اجاد دعبل في اعراضه
كل الاجادة ومطل مات المطلب وهو على منتظله تراثاه فدعبل هو المطلب
مات الثلاثة بمات مات المطلب مات المطلب مات المطلب والراغب
الله الالهية قد ضمه في كفن قد اضحى يعزى به الا سلام والعرى
يا يوم لمطلب اضحى أعيننا دمعا يدوم له ما كادت الخلق
حبه أهني خدوني في حيطان قد لصقت منه نأري وللعلاء
في هذا نأري بالثواب ما يستوي من فوقك التبريد باللعلاء
في واقع شان الرناك الشليل في اخذ امرأه خزا علقها في المطلب
وهذا هو .

مالع سلعا راع ١٠٠ مكتمه (١)

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت

فقصص من الليالي من حواشيها

هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعة

تسفي الرياح عليه من سوافيها

هبت وقد علمت أن لا هبوب له

وقد تكون حسيراً إذ يباريها

اضحى قري للمنايا إذ نزلن به

وكان في سالف الأيام يقربها

فمن هذه الأقوال يتضح لنا موقف الشاعر من هذا الأمير

الخراعي وأنه كان يقول بقول الفرزدق « نكون معهم ما كان الله معهم فإذا تخلى عنهم تركناهم » .

خلاف المأمون

١٩٧ - ٢١٨ هـ

هذه عشرون سنة تراكمت بعد اثر في التاريخ ، فيها ما يؤثر من العلم والفضل ، وفيها ما يصم من الاضطراب والفوضى وتعدد المذاهب وكثرة الخارجين حتى عدت سبعة من اولاد الامام علي بن أبي طالب في انحاء العراق والجزيرة (١) فقط غير من خرج من الفرس وسواهم .

(١) في سنة ١٩٩ هـ خرج ابو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو ابن طباطبا .

٢ - وثب بالمدينة محمد بن سليمان بن دواد بن الحسن بن الحسن .

٣ - وثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين .

٤ - وثب زيد بن موسى بن جعفر .

٥ - ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد باليمن .

٦ - محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بمكة ونواحي الحجاز .

٧ - الحسن بن حسين بن علي بن علي بن الحسين بن علي بالمدينة .

(عن ابن الاثير في كامله)

ان عصرآ تكثر فيه مثل هذه الاعاصير في الداخل والخارج
يكون مرتعاً خصيباً للشعر وموضوعاً شيقاً لمختلي الاحاديث وتوجيهها
حسب الرغبات .

ما توفي الرشيد في طوس حتى كان قد اشبع الاخوين بغض
احدهما الآخر وجعلها على مثل قرن . فقد نشأ المأمون تذبذبة شيعية
ولا اقول فارسية ، ثم لم يتورع فأمره على خراسان والقسم
الشرقي من المملكة .

وجعله ولي عهد الامين ولم يكن للخليفة سلطة على تغييره . ثم
توفي وهو في جيشه ، فأمر ان يكون هذا الجيش وما فيه - من
عتاد واموال - الى المأمون وهنا الموقف الصعب ، أي قائد تطمئن
نفسه اذا انضم الى المأمون بوصية الخليفة الرشيد وقد اكتسب
غضب الخليفة القائم ؟

واخذ وزراء الخليفة الامين ووزراء المأمون يبعدون شقة الخلاف
بين الخليفة وولي عهده والايام تباعد بينهما . وكان ما كان حتى هبت
الثورة تأكل الاخضر واليابس ، وتقضي على ما عمر المنصور وخلفاؤه
في بغداد من المعالم .

لم تقتصر تلك الثورة على بغداد دار الخلافة . بل رأينا الناس
حياراً في كل صقع ، والمناداة بالامام وبالخلافة في كل مظهر . حتى
هؤلاء الذين يندشون السلامة نراهم مترددين ، أو وادعين ، أو يتلقون
المصيبة عن يد . وكثر الرعاع وتحكموا بالعقلاء . ويعجب العاقل من
حالة بغداد مدة ثلاث سنوات ، والجيش يضيق عليها الخناق والذين
يدافعون عنها هم الشطار والعيمارون وكفى بهم من متحكمين باموال
الناس وحرماهم .

وما آمن المسلمون نكبة النزاع على الخلافة - وقد استقرت الامور
للمأمون - حتى أحدث خرقاً فجعل دار الخلافة صرو في خراسان .
وأي عربي برضي عن ذلك ؟

ثم غير السواد بالخضرة ، وخلع ولي العهد العباسي وعهد الى الامام
علي بن موسى الرضى بولاية العهد . وتحكم الفضل بن سهل باعمال الخلافة
وفوض اليه شرق البلاد حتى حدودها وحكم اخاه الحسن بن سهل في
غربي البلاد وكان من نصيب طاهر بن الحسين الخزاعي ، فاتح بغداد ،
وقاتل الامين . ان ابعده الى الرقة كالمنفي ومن حظ هرعة بن اعين
القائد الكبير الفيور ، ان قتل شرقاً عندما نصح للمأمون ان ينظر

بعين الحقيقة الى ما يجري في البلاد .

وأخيراً طفع الكيل - وكان لهذا الليل من آخر - ورأى المأمون بعين بصيرته بعد أن هداه ولي العهد - الامام العلوي - ان اهل بغداد والمغرب قد خلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي وكانت الواقعة . فتحرك المأمون راجعاً الى بغداد فلما بلغ سرخس قتل الفضل بن سهل وفي الطريق في طوس مات ولي العهد الامام الرضا بعد ان اكل عنباً مسموماً فسهلت الامور على سياسة المأمون ، ودخل بغداد بعد ان فر منها ابراهيم بن المهدي ، ولكن المأمون ظل لابساً الخضرة شعار آل البيت العلوي ثم رأيناه بعد ذلك سنة ٢٠٤ هـ . بغير لباس الخضرة ، ويعود الى السواد العباسي وبعد ذلك ببضع سنوات ٢١٢ هـ . يعود الى الشيعة وينادي بتفضيل الامام علي بن ابي طالب على جميع الخلفاء وبين هذا وذاك من الآراء نرى القواد والعظماء يسرون بهذه التيارات فحينما يخضعون وحينما يذشرون - حتى القائد العظيم طاهر بن الحسين قد شق عصا الطاعة ولم يخطب باسم الخليفة في خراسان . وحتى اهل قم الشيعيين الاشداء خلعوا المأمون مرة - بالطبع عندما سود (١) - وان كان ابن الاثير يعزو ذلك الى عدم الخط من خراجهم .

(١) اي لبس السواد العباسي

ولم يقتصر على هذه المحن ، بل امتحنهم المأمون بالمحنة العظمى
ب القول بخناق القرآن - والانصراف الى هذا الجدل البزنطي غير
المثمر إلا الاحن والبلايا والشدائد .

والهول يدعو الى الهول ، فقد كان هذا التراخي عن نتيجة الجدل
والمأمون بحسب ذلك سمة للعلم . فكثرت المذاهب من سنة وشيعة ،
وتنوعت الفرق من معتزلة وقدرية وجبرية ، وفعل طباع ، وما ينطوي
تحت هذه من نزعات .

ثم رأينا العصبية بين النزارية والقحطانية قد عادت الى عنونها
فضلا عن الشعوبية والعربية .

والمأمون يشتد احيانا حتى ينزع لسان علي بن جبلة العكوك
من فقاؤه ويتساهل احيانا حتى يسمع هجاء باذنه .

هذه غمرة كان شاعرنا دعبل ينظر اليها بحذر وحيرة وهو لا يعدم
وسيلة يظهر فيها كل الظهور ان في مذهبه الشيعي الذي لا يحول عنه
ويدافع ما استطاع حتى كان يقول « احمل خشبتي ستين سنة ولا
اجد من يصلبني عليها » او في النزاع بين الاهواء والعصبية كالدفاع
عن القحطانية والرد على السابقين والمعاصرين ، وما كان يترقب على
ذلك من هذه المشاهدات .

أبي الدعبل

ما عاد دعبل من مصر غاضباً على المطلب مطروداً من أميره
الخزاعي الذي حسب أنه سيلقى في كنفه الملجأ الأمين - حتى علم أن
المأمون أصبح خليفة ، وأنه نزل على هوى الشيعة ، فكفر بالسواد
والعباسيين ولبس الخضر وفادى بولاية المهدي إلى الامام علي بن
موسى الرضا ، وأصر إليه وإلى ابنه وقرب الشيعة وحقق الآمال
فليشد إليه الرحال ويلقى عنده الأمن ، وفي خراسان بلوغ الاماني
وهناك استأذه ورفيقه مسلم في امن ودعة ورفاه وقد أصبح والياً على
جرجان . وبسمت له الدنيا فأتى خراسان إلى خراسان .

كان عليه فور وصوله إلى مرو أن يتبرك بطلعة الامام الرضا وإن
بشدته قصيدته التي أعدها لمثل هذا الموقف السعيد والتي من مؤرخو
الآداب فابقوها لما تامة وهي آية الشعر الدعبلية أو بحق هي - آية
العصر - وعنده هي كما حققها باقوت في معجم الادباء (١)

(١) شهرة القصيدة أغنتنا عن نقلها كاملة كما نقلتها كتب الأدب وموسوعات
التاريخ المختلفة .

مدارس آيات خلت من تلاوة
لآل رسول الله بالخيف من منى
ديار علي والحسين وجعفر
ديار عفاها كل جون مبارك
ققا نسأل الدار التي خف اهله
وابن الاولي شطت بهم غربة النوى
هم أهل ميراث النبي اذا اعتزوا
وما الناس إلا حاسد ومكذب
اذا ذكروا قتلى بيدر وخير
قبور بكوفان (١) واخرى بطيبة
وقبر ببغداد لنفس زكية
فاما الممطات التي لست بالفا
الى الحشر حتى يبعث الله قائماً
نفوس لدى النهرين من ارض كربلا

ومنزل وحي مقفر العرصات
وبالركن والتعريف والجرات
وحمة والسجادة ذي الثغفات
ولم تعف للآيات والسنوات
متى عهدا بالصوم والصلوات
افانين في الافاق مفترقات
وهم خير قادات وخير حماة
ومضطفن ذو احنة وتوات
ويسوم حنين اسبلوا العبرات
واخرى بفخ ناله صلواتي
تضمنها الرحمان في الفرات
مبالغها مني بكنه صفات
يفرج منها الهم والكربات
معرسهم فيها بشط فرات

(١) في ياقوت كوفات بالتاء وتصحيحها بالنون وهي من أسماء الكوفة
كما في الماحم .

تقسمهم ريب الزمان كما ترى
سوى ان منهم بالمدينة عصابة
قليلة زوار سوى بعض زور
لهم كل حين نومة بمضاجع
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها
تنكب لأواء المنين جوارهم
إذا وردوا خيلاً شمس بالقنا
وإن نغروا يوماً اتوا بمحمد
ملاكم في اهل النبي فأنهم
نخيرتهم رشداً لأصري فأنهم
فيارب زدني من يقيني بصيرة
بنفسي انتم من كهول وفتية
احب قصي الرحم من أجل حبكم
واكنم حبيكم مخافة كاشع
لقد حفت الأيام حولي بشرها
ألم تراني من ثلاثين حجة

لهم عمرة مفضية الحجرات
مدى الدهر انضاء من الازمات
من الضبيع والعقبان والرخات
لهم في نواحي الارض مختلفات
مغاور يختارون في السروات
فلا تصطليهم حجرة الحجرات
مساعر جمر الموت والغمرات
وجبريل والفرقان ذي السورات
أحباي ما عاشوا واهل ثقاتي
على كل حال خيرة الخيرات
وزد حبهم يارب في حسناتي
لنفسك عناية او لجمال ديات
واهجر فيكم اسرتي وبناتي
عنيد لاهل الحق غير مؤات
واني لأرجو الأمن بعد وفاتي
اروح واغدو دائماً الحسرات

أرى فيأهم في غيرهم متقسما
فآل رسول الله تحف جسمهم
بنات زياد في القصور مصونة
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم (١)
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدا
خروج أمام لا محالة خارج
يعز فينا كل حق وباطل
ساقصر نفسي جاهداً عن جداهم
فيأنفس طيبي ثم بأنفس ابشري
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي
شفيت ولم أترك لنفسي زربة
أحاول تقل الشمس من مستقرها
فمن عارف لم ينتفع ومعانداً
قصاراي منهم أن أموت بنفسي
كأنك بالاضلاع قد ضاق رحبها

وأبدبهم من فيهم صفرات
وآل زياد حفل القصرات
وآل رسول الله في الفلوات
اكفاً عن الاوتار منقبضات
لقطع قلبي أثرهم حمراتي
يقوم على اسم الله والبركات
ويجزى على النعماء والنفقات
كفاني ما أتى من العبرات
فغير بعيد كل ما هو آت
وأخر من عمري لطول حياتي
ورويت منهم منصلي وحناتي
واسمع احجاراً من الصلوات
يميل مع الاهواء والشبهات
تردد بين الصدر واللاهوت
لما ضمنت من شدة الزفرات

(١) في الروايات « إلى وترهم » .

وانترك التعليق على هذه القصيدة العصماء لدعبل باجماع الرواة
واختلاف بسيط لا يغير القصد قال :

دخلت على علي بن موسى الرضى عليها السلام فقال لي انشدني
شيئاً مما احدثت فانشدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر المرصعات
حتى انتهيت الى قولي :

اذا وتروا مدوا الى واتريهم اكفاً عن الاوتار منقبضات
فبكي حتى اغمي عليه واوماً الى خادم كان على رأسه أن اسكت
فسكت ساعة ثم قال لي اعد قاعدت حتى انتهيت الى هذا البيت فاصابه
مثل الذي اصابه في المرة الاولى، فأوماً الخادم الي ان اسكت فسكت
فبكت ساعة اخرى ثم قال لي اعد قاعدت حتى انتهيت الى آخرها
فقال لي احسنت ثلاث مرات ، ثم امر لي بعشرة آلاف درهم مما
ضرب باسمه ولم تكن وقعت الى احد بعد وامر لي من في منزله بحلي
كثير اخرجته الى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة
دراهم اشتراها مني الشيعة فحصل لي مائة الف درهم فساكن اول مال
اعتقدته .

ثم يزيد الاصفهاني في الاغانى على هذا الحديث باسناد حذيفة بن
 محمد ان دعبله قال له انه استوهب من الرضى عليه السلام ثوباً قد لبسه
 ليجمعه في اكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه اياها - وبلغ اهل قم
 خبرها فسألوه ان يبيعهم اياها بثلاثين الف درهم فأبى عليهم بيعها -
 فخرجوا عليه في طريقه فاخذوها منه غصباً وقالوا له ان شئت ان تأخذ
 المال فافعل وإلا فانت اعلم فقال لهم اني والله لا اعطيكم اياها طوعاً ولا
 تنفعكم غصباً واشكوكم الى الرضى عليه السلام فصالحوه على ان
 اعطوه الثلاثين الف درهم وفردكم من بطانتها فرضي بذلك فكان في
 اكفانه ، وكتب هذه القصيدة - مدارس آيات - على ثوب واحرم
 فيه وأمر بأن يكون في اكفانه .

يلاحظ من هذا التعليق على قوله « فكان اول مال اعتقدته »
 وفي كتب اللغة اعتقد المال امتلصه وكيف يكون اول مال ؟ وكيف
 توفق بين هذا القول وعطية الرشيد من قبل !

ابراهيم بن المهدي

لم تطل اقامة دعبل في خراسان فقد عاد الى بغداد كما قال عن نفسه وباع الدراهم من الشيعة. ورأى انه يهاجم المطلب يوم اخذ البيعة لابراهيم بن المهدي كما ينتظر منه ولم يكن هذا الهجاء من روائع دعبل ، كانه لم يكن يعتقد ان الامر سينتبت له .

وابراهيم هذا اديب موسيقار كبير ، وشاعر مقبول ، ولكن الخلافة تحتاج الى غير هذا . تحتاج الى ثقة ومعرفة بأسرار الدولة ، والى المال في المرتبة الاولى وخاصة اذا كانت نتيجة خصام وحرب . فلما بويع ابراهيم هاجمه جند المأمون ، وهو الظافر الفائز على أهل بغداد وعلى الامين .

من اين المال لابراهيم ؟ ولا يحارب الجند بدونه . وكان قد احتاج الى الاعراب واوغاد الناس وهذا لا يحتاج الى تدليل فانهم لم يدفعوا عن خليفتهم الحقيقي ابن هرون الرشيد . فكيف بهذا الدعي ؟

ولما لم يكن عنده مال « جعل يسوفهم ولا يرون له حقيقة الى
 ان خرج اليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وضحجوا فصرح لهم بان
 لا مال عنده فقال قوم من غوغاء بفقداد اخرجوا الينا خليفتنا ليفني
 لاهل هذا الجانب ثلاثة اصوات ، ولاهل هذا الجانب ثلاثة اصوات
 فتكون عطاء لهم » (١) .

وسمع دعبل هذا الحديث فآخذ منه ما يوافق هواه ثابث ان
 أنشد .

يا معشر الاجناد لا تقنطوا	وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية	يلتذها الامرد والاشمط
والمعبديات لقوادكم	لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده	خليفة مصحفه الربط
قد ختم الصك بارزاقكم	وصحح العزم فلا تقنطوا
بيعة ابراهيم مشثومة	بقتل فيها الخلق أو يقنطوا

هذا شعر مؤلم جداً . خليفة مصحفه الربط !

ولم تطل أيام ابراهيم ليعاقب دعبلأ على قوله ، ولو كان يداب

(١) عن الاغانى .

كل من يردد مثل هذه الايات او يقول معناها لوجب ان يعاقب
كل اهل بغداد .

دخل المأمون بغداد وفر ابراهيم ووقف دعبل ينظر ما يعمل
المأمون ، والمأمون يراوح الناس ويناديهم بالخضرة احياناً والسواد
حيناً ، ويميل بطبعه الى الشيعة ، وحزبهم في ازدياد وقوة ، ودعبل
يبدل عليه بهذا الميل وما عرف به وقد سمع مجاه في ابراهيم وسره
وخاصة قوله الاخير .

علم ونحكيم	وشيب مفارق	نطميس ريمان الشباب الراق
وامارة في دولة ميعونة	كانت على الذات اشعب عائق	
فالآن لا اغدوا ولست برايح	في كبر معشوق وذلة عاشق	
اني يكون وليس ذاك بكائن	يوث اخلافة فاسق عن فاسق	
نعر ابن شكلة بالعراق وأهله	فهذا اليه كل اطلس مائق	
إن كان ابراهيم مطلقاً بها	فلتصلحن من بعده لمخارق	
ولتصلحن من بعده ذاك لزلزل	ولتصلحن من بعده للمارق	
قبل لما سمعها المأمون ضحك وعفا عن دعبل وجمل يترقب لقاءه		
وفي المراجع ان المأمون سمع بالتأية الكبرى واعجب بها كل الاعجاب		

وكتب الى دعبيل اما انا فلما دخل عليه تبسم في وجهه وقال . « ايه
دعبيل ، انشدني - مدارس آيات - فأنا قد وصلتني واسكنني اريد
ان اسمعها منك » فانشدته اياها فبكي المأمون . وتلك الدمعة كان لها
اكبر الاثر في ادلال دعبيل على هؤلاء العمال المرأوغين في دولة المأمون .
وكم جرب ابراهيم هذا ان ينال من دعبيل في زمن المأمون فلم يستطع
واسكنه اغرى به المصنم كما سنذكر في فصل آت . وقد نجا دعبيل
من هذا الشر وعمر كما هو معروف الى آخر خلافة المتوكل .

مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ

يقرن اسم دعبل باسم مسلم بن الوليد (صريع الغواني) فقد كان مسلم
استاذ دعبل ولكنها كانا متقاربين في السن ومتشابهين الفقر كما مر معنا .
اما انهما كان يجتمعهما ازار واحد كما يقول عبد الله بن طاهر ففيه
نظر . واما المقارنة بين الشاعر بن فلها غير هذا الفصل . ونعلن الآن
أن مسلم بن الوليد قصد الى خراسان زمن المأمون ووزارة ذي
الرئاستين ومدحه وعرف له الفضل مقامه فقال « اعينك ايها الكهل
من هذا الموقف . فسل حاجتك » فقال لا بد من الانشاد فلما انشده
قال « اريد ولايسة جرجان » فاجازه واغناه وولاه جرجان . فلما سمع
دعبل بذلك قصد الى خراسان يوم زار الامام علي الرضا وقصد
مسلماً . ومسلم هذا كان فيه بخل كما قيل عنه . وقد يكون ذلك
صحيحاً ، أو انه لم يمتد ان يهب الأموال ، لمثل دعبل وهو ما هو
منه . فلم يعامله بما كان يأمل .

فلم يحتمل دعبل هذا الجفاء ولم يصبر عليه فقال فيه ابياته الخالدة .
ابا مخلد كنا عقيدي مودة هوانا وقلباننا جميعاً معاً معاً

احوطك بالغيب الذي انت حائطي وأتجمع أشفاقاً لأن تتوجعا
 فصيرتني بعد انتحائك متهماً لنفسي عليها اربح الخلق اجما
 غششت الهوى حتى تداعت اصوله بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
 وانزلت من بين الجوانح والحشا ذخيرة ودم طالما قد تمنعا
 فلا تعذلني ليس لي فيك مطمع تمزقت حتى لم اجد فيك مرقعا
 فهبك يميني استأكلت فقطعتها وجشمت قلبي صبره فتشجعنا
 وهذه الايات هي عتاب موجع . ولكن ليس فيها شيء من
 الهجاء ، هو يقول انه قد قطع وده ، وحرمه صداقته ، فان كانت هم
 مساماً فعلى مسلم ان يعمل على وصل ما انقطع وهو اقدر من دعبل
 المحروم ولكن مساماً اختار القطيعة فتهاجرا وما التقيا بعدها .

وقيل إن دعبلاً قال للفضل بن سهل .

لا تعبس أن بابن الوليد فانه يرميك بعد ثلاثة بملال
 ان الملول وان تقادم عهده كانت مودته كفي ظلال
 ودفع الفضل الرقعة الى مسلم فلما قرأها رمي دعبلاً بكل فربة
 واعلن انه كان يلقب وهو غلام بمياس .

والمنصف يرى ان دعبلاً ومساماً في مستوى واحد من حفظ
 الوداد ولم يكن ذلك يبعيد في هذا العصر الملول .

قبران في طوس

ما علمت احداً يذكر دعبلراً إلا ويروي فيه انه قليل الوفاء وانه لم يحفظ للرشيد عهداً ، فهو الذي اخرجهم من ظلمات الاعمال ، وهو الذي عامله بما لم يعامل به اهل طبقته . وعند بعضهم انه الذي احضره الى دار الخلافة واجرى عليه الارزاق حتى نبه ذكره ، وحسنت حاله وهزأ بالزمان ونوبه .

ويروي ابن طاهر عبدالله انه لم يمت الرشيد حتى هجاه هجاء مراراً موجعاً ويورد الابيات الرائية المشهورة ، والمحقق المنصف يعلم علم اليقين ان الرشيد اعجب بشعر دعبل . ولما علم انه من خزاعة ، تقرب اليهم به ، وهم - كما يقول دعبل - ملء الارض في زمانهم ، وكفى بمن هو مشهور منهم ، المطالب بن عبدالله ، وقد كان يعهد اليه في كل مائة ، وطاهر بن الحسين وابناؤه وهم من هم ، والرشيد يعرف الشعر ويقدره . ولدعبل رأي في الخلافة كما يعهد فهي خلافة مغتصبة على مذهبه . ومع كل ذلك حفظ لخليفته حقه ، ومدحه وان كان من انهب شعر دعبل لم يبق على هذا المديح .

كان دعبل غلاماً حين انشده ، وقد قررنا أن هذه الغلامية كانت
قبل ان اتصل بالرشيد . وهذه الرائية قالها بعد مرور ستة عشر عاماً
على وفاة الرشيد على الاقل .

وما اظلم عبدالله بن طاهر وهو الاديب المعالم حين يقول « فا
بلغه موت الرشيد حتى قال فيه » .

والحقيقة ان الرشيد كان في طريقه الى خراسان يوم مات في
طوس فدفن فيها ، واتفق ان المأمون في رجوعه الى بغداد ومعه
علي الرضى توفي في طوس ايضاً فدفن فيها قرب قبر الرشيد . ثم كان
من امر المأمون ما كان ، وعودته الى السواد ، وخيبة امل دعبل ،
فكان رأيه رأي سائر الشيعة واهل مذهبهم فقال من قصيدة يمدح
فيها اهل البيت .

وانا لجد شاكرين لابن طاهر الذي حفظ لنا هذه الايات من
القصيدة التي ذهب بها ضياع شعر دعبل وهذا ما بقي منها كما في
كتب الادب .

وليس حي من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دماءهم كما تشارك ايسار على جزر

ت قتل واسر ومحرق ومنهبة
أرى أمية معذورين ان قتلوا
ابناء حرب ومروان واسرته
قوم قتلتم على الاسلام اولهم
الى قوله :

اربع بطوس على القبر الزكي اذا
قبر ان في طوس خير الناس كلهم
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا
هيات كل امرئ رهن بما كسبت
ولا يحتاج الناقد الى تعليق على هذه الايات فالفصوص منها
اظهار الظالم الذي نال أئمة الشيعة في هذا العصر .

وقد كان يأمل دعبل ان يكون حظهم في بني عمهم احسن من حظهم
من بني أمية وهو يوضح ذلك في صراحته ، وخيبة الآمال مريرة .
وليس نسبة الرجس الى الرشيد ببذعة فهذا مذهب لم يستطع
دعبل في ساعة حنق ان يخفيه ولا سيما وهو يحسب ان عصر المأمون
يرد الحق الى نصابه والبحث يحتاج الى انصاف وقوة اعصاب .

طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين خزاعي بالولاء ، وركن من اركان دولة المأمون وهو الذي شدد الحصار على بغداد وطاهر نفسه الذي لم يرض بتسليم الامين وخالف غيره من القواد . وامام عينه قطع رأس الامين . وهو الذي أرسله الى المأمون في خراسان .

ولما تم الظفر للمأمون ولاء المغرب اي غربي بغداد وليس لبني العباس من هذه الحرمة في نفوس اهل الشام والجزيرة . فنهض نصر بن شبيب يقاوم الخلافة فصدمه طاهر فلم يفعل شيئاً بل رجع كالمهزوم وبقي في الرقة وصارت احداث انتهت ان نقل فيها الى رئاسة شرطة بغداد ثم يسوق المؤرخون خبراً انه دخل على المأمون ساعة طرب فلما رآه المأمون بكى ولما رشى طاهر خادم المأمون وكان مقرباً منه سأله فقال « انما ذكرت أخي الأمين حين رأيت قاتله طاهراً » فلما علم طاهر بالامر طلب من الوزير احمد بن ابي خالد ان يبعده عن بغداد فولى خراسان بضمانه الوزير للمأمون . وفي خراسان قطع الخطبة

للعامون واسكنه مات في تلك الليلة وولي الأمر بعده ابنه عبد الله
بن طاهر وهو الاديب المشهور .

هذا امير خزاعي والولاء عندهم يقوم مقام النسب وقد كان
دعبل يدل عايه بالنسب وبالمنهج وكان يأمل ان تتحقق عنده رغائبه
والعصر لم يكن مما يحمد ، وكانت امانى دعبل امانى شاعر طموح
وطلباته لا تنقطع ومراجعتة اياه متواصلة ولكن الوالى القائد غير
الشاعر .

ولا ادري في اية ساعة اراد دعبل ان ينزل القائد على رأيه ولما
ابى نفث دعبل .

أبأذا اليمينين والدعوتين	ومن عنده العرف والنائل
اترضى لمثلي اني مقيم	ببوابك مطرح خامل
رضيت من الود والعائدا	ت ومن كل ما أمل الآمل
بتسليمه بين خمس وست	اذا ضمك المجلس الحافل
وما كنت أرضى بهذا من سواك	ايرضى بهذا رجل عاقل
وان ناب شغل ففي دون ما	تدبره شغل شاغل
عليك سلام فاني امرؤ	اذا ضاق بي بلد راحل

هذا قول مدلل بقراءة وحسن ظن .

ويقول الادباء ان ابياتاً اخرى قالها لعبدالله بن طاهر واكتنفا
حرية بطاهر نفسه وقد رويت انها في احد امراء الرقة ونفسها وغايتها
ترجح ان تكون في طاهر وهي :

ماذا اقول اذا اتيت معاشري صفرأ يداي من الجواد المجزل
ان قلت اعطاني كذبت وان اقل ضن الامير بحاله لم يجعل
ولانت اعلم بالمسكارم والملا من ان اقول فعلت ما لم تفعل
فاختر لنفسك ما اقول فاني لا بد مخبرهم وان لم أسأل

وهذه الدعايات وهذا الادلال مما لا يحتمله هذا العصر، ولا يحتمل
دعبل هذا الجفاء ولا سيما وقد ضاع أمله في هذه الدولة التي لم يبق
فيها غير المأمون نفسه وهو يسير في بحر خضم من هذه الاهواء
وتكاد دفة السفينة تقلت من يديه .

كان طاهر يلقب بذي اليمينين لانه عندما كان قائد المأمون وصدم
جيش الامين قبض بيديه الشفتين على سيفه وضرب القائد فقتله فلقب
بذي اليمينين لان تلك الضربة كانت آية الغلبة . ويقابله من ذلك انه
كان اعور فرأى دعبل في ساعة فسكاهة وسخرية والم مجالاً فهتف

وذي يمينين وعين واحدة

نقصان عين ويمين زائدة

نزر العطيات قليل الفائدة

واما الابيات المشهورة الرائعة في حراقة ابن الحسين فيغلب انها
قيل لعبدالله بن طاهر بن الحسين وان كان الشعر لم يتسع لذكر
النسب .

وقوله حراقة ابن الحسين يعني عبدالله .

والابيات مشهورة فقد ركب عبدالله حراقة في دجلة فحاذاه
دعبل وكتب رقعة وسلمها اليه فاذا فيها .

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تسير ولا تفرق

وبجران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق

واعجب من ذاك عيدانها وقد مسها كيف لا تورق

وعبدالله نفسه هو الذي روى اخبار هجاء دعبل على الوجه الذي

اراد في معرض الذم واشاع عنه هذه المحازي المعروفة . وهو يقول

ان كل حق لابي عند دعبل قد غمط اذا لما بلغه موته قال :

وابقى طاهر فينا خلا لا عجائب تستخف بها الخلوم

ثلاثة اخوة لاب وام غايز عن ثلاثتهم اروم
فبعضهم يقول قریش قومي ويدفعه الموالي والصميم
وبعض في خزاعة منتباه ولاء غير مجهول قديم
وبعضهم يهش لآل كسرى ويزعم انه عالج لئيم
فقد كثرت متاعبهم علينا فكلهم على حال زعيم

هذه رواية عبدالله بن طاهر في ابن عساكر اما رواية الاغاني
عن محمد بن القاسم ابن مهدوية فهي مضطربة نوعاً وتنقص بيتاً اخل
بها .

ولو جرينا على المعقول لرأينا عبدالله اهجي من دعبل بروايته
عنه .

ولا يعدو هجاء دعبل طاهراً ما قررنا من انه يمدحه عندما يكون
على رأيه ومذهبه ثم يهجوّه عندما يخرج ويقف المواقف الشاذة .

الزارية والخطانية

لما قال الكميث بن زيد الاسدي الهاشميات المشهورة في ايام بني امية ، اتى الطالبين وبني هاشم ينشدهم اياها ، فباه منهم من كان لديه مال فقال : « انما تقال فيكم لله ، وما كنت لآخذ على شيء جعلته لله ملاً ولا ثمناً » .

وأخيراً اقترح عليه عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب وكان ذاهمة وحنكة كما يقول المسمودي .

« ان ابيت ان تقبل فاني رأيت ان تقول شيئاً تعصب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين اصابعها بعض ما يجب » .

فابتدأ الكميث يقول قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وانهم افضل من قحطان . فعصب بها بين الجنية والزارية وهي قصيدته المشهورة وأولها .

إلا حييت عنا يا مدينا وهل ناس تقول مسلمينا

الى ان انتهى الى قوله تصريحاً وتعريضاً باليمن فيما كانه من
أمر الحبشة وغيرهم وفيها قوله :

لنا قمر السماء وكل نجم	تشير اليه ايدي المهتدين
وجدت الله اذ سجدت نزاراً	واسكنهم بمكة قاطنين
لنا جمل المكارم خالصات	وللناس القفا ولنا الجبين
وما ضربت هجائن من نزار	فوالج من فحول الاعجميين
وما حملوا الحمير على عتاق	مطهرة فيلقوا مبلغي
وما وجدت نساء بني نزار	حلائل اسودينا واحمرينا

وهي قصيدة طويلة كان لها ابعاد الاثر في القبائل العربية فافتخرت
نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بماله من
المناقب وتحزبت الناس وثارَت العصبيّة في البدو والحضر وكان من
أثرها ذهاب دولة بني أمية (١) .

وفي أيام شاعرنا دعبل - الايام السمحة المضطربة - عاد الناس سيرتهم
الاولى فرأينا كثيراً من فحول الشعراء ينظمون في هذا المعنى ومن
اشهرهم ابو نواس وقد سجن على تفضيله اليمانية . فلم يجد دعبل بداً

(١) عن المسعودي

من الادلاء بدلوه وهو العنيف . وكيف يهجو النزارية والنبي وآله
فيها ؟ لذلك سلك مسلك حسان بن ثابت يوم قام يناضل عن النبي
والاسلام !

اطال دعبل في هذا الرد حتى ذكر التنوخي انها ستمائة بيت
وانه قد حفظها كلها لما فيها من مفاخر قومه .

اما ما وصل اليها من هذه النقيضة العظمى فهو قليل لا يروي
غلة ولا يصلح لغير التمثيل وهذا ما عثرت عليه فيهابين يدي من
المراجع .

افيتي من ملامك يا ظعينا	كفأك اللوم سرُّ الاربعينا
الم تحزنك احداث الليالي	يشين النوائب والقرونا
احي الفر من سرورات قومي	لقد حيت عنا يا مدينا
فان يك آل امرائيل منكم	وكنتم بالاعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي	مسخن مع القروود الخاسعينا
بابة والخليج لهم رسوم	واثار قد من وما محينا
وما طلب الكميث طلاب وتر	واكننا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار ان قومي	الى نصر النبوة فاخرينا

فقوله الاخير صريح انه لا يتعرض للنبوة وان نصرته الخزاميين
للببوة لا تحتاج الى تدليل فهي في كل زمان وقد سبقت النبوة
واتصلت بعبد المطالب ثم بالنبي . وفي الاسلام كانوا اول من لبي . ولم
يزالوا في عصر دعبل في الرعي الاول في كل مظهر يمت الى النبي وآله .
وتكرار كلمة فاخرينا قبل استيفاء شرط العروض يدل على اختيار
الايات . لقد ذاعت هذه النقيضة حتى رواها كثير من الادباء والمتطفلين
وكلهم تفعل فيهم العصبية - حتى في هذا العصر - فعل النار بالهشيم .
نزل دعبل مع صديقه - رزين العروضي - في بعض أسفاره -
بقوم من بني مخزوم فلم يقروها ، ولا احسنوا ضيافتها فقال دعبل :
عصابة من بني مخزوم بت بهم بحيث لا تطمع المسحاة بالطين
ثم التفت الى رزين وقال اجز فاجاب :

في مضغ أعراضهم عن خبزهم عوض بني النفاق وابناء الملاعين
فتصدى لدعبل شاعر بني مخزوم واسمه عيسى بن الوليد ولكنه
معروف بابي سعد المخزومي وهو من الشعراء المتقدمين فترك رزينا
إذ لم يكن يستحق الرد ولم يجد اليه سبيلاً واجاب دعبلاً مدعياً
الغيرة على النزارية والكميت .

واعجب ما سمعنا او رأينا هجاء قاله حي لميت
وهذا دعبل كلف معنى بتسطير الأهاجي في الكميت
وما يهجو الكميت وقد طواه م الردي إلا ابن زانية بزيت

فتلقفه دعبل وصب عليه جام غضبه وقد ترك النقائص والخلائف
وجعل يتخذ من هذا الشاعر الجريء على دعبل غرضاً يصوب اليه
نباله السامة وقد سلك مسلك جرير المشهور : اي خير الهجاء ما
يضحك : فقال فيه واوجع واتخذ طريقة طريفة : فقد جمع حوله
الصبيان وفرق بينهم جوزاً وجعل يلقيهم وهم يرددون .

يا أبا سعد قوصرة (١) زاني الاخت والمرء (٢)

ويتبعها بالفاظ السوقه ، والصبيان يصيحون في أثره حتى لم تكن
الارض تسمع ابا سعد المخزومي . وكان يقول « واي شيء ينفعني اجود
الشعر فلا يروي ويفضخني بردئة ولا افضحه بجيدي اقول في دعبل
مثل قولي .

ليس لبس الطيالس من لباس الفوارس

(١) القوصرة : وعاء للتمر كناية عن المرأة .

(٢) والمرء : المرأة او لغة فيها وهي لغوية .

وهي قصيدة عامرة :

فلا يلتفت إليها في عصرنا هذا إلا علماء الشعر ويقول دعبل .

يا أبا سعد قوصرة زاني الاخت والمره

فوالله لقد رواها صبيان الكتاتيب ومارة الطرق والسفل فما أجتاز
بموضع إلا سمعته من سفلة الناس يهدرون به فمنهم من يعرفني فيعيني
ومنهم من لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه »

واتسعت دائرة هذا الهجاء وتفنن كلاهما فيه ، ولم يكن يقتصر
على العصبية بل خص به بني مخزوم حتى خشوا العار ، فاجتمعوا في
بغداد ونفوا أبا سعد منهم وكتبوا عليه كتاباً ، واشهدوا انه ليس
منهم ففضب أبو سعد ونقش على خاتمه « ابو سعد العبد بن العبد
بريء من بني مخزوم » فقال دعبل .

هم كتبوا الصك الذي قد علمتم عليك وشنوا فوق هامتك الفقرا
وفي مقابل ذلك كان الخزاعيون يقدون دعبلاً بكل غال وقال
احدهم لابن السكبي العالم النسابة « إن دعبلاً قد قطعنا فلو أخبرت
الناس انه ليس من خزاعة » فقال له : « مثل دعبل تنفيه خزاعة ،

والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه ، دعبل والله يا اخي
خزاعة كلها »

ودعبل يعلم ذلك ويعلم أن خزاعة من جهة وان الشيعة من جهة
اخرى وأن زمانه الذهبي - زمن المأمون - بهون عليه كل عسير .
وحسب هؤلاء المساكين - ابي سعد وغيره - ان ينفروا قلب
المأمون عليه ولا سيما وقد عتب دعبل في أحد مواقف المأمون يوم
كان يسود وكانت ساعة خرج فيها الشاعر عن معقوله فقال في
المأمون .

ويسومني المأمون خطة ظالم	او ما رأيي بالامس رأس محمد
نوفي على هام الخلائق مثاما	توفي الجبال على رؤوس القرد
ونخل في اكناف كل ممنع	حتى يذال شاهقا لم يصعد
إني من القوم الذين سيوفهم	قتلت أخاك وشرفوك بمقعده
ان الترات مسهد طلابها	فاكفف مذاقك عن لعاب الاسود
لا تحسبن جهلي لحلم ابي فما	حلم المشايخ مثل جبل الامرد
شادوا بذكرك بعد طول خمولة	واستهضوك من الحضيض الاوهد
فلما سمع المأمون الايات ما زاد	على ان قال « كذب والله متى

كنت خاملاً واني خليفة وابن خليفة واخو خليفة فتي كنت خاملاً
فرفعني دعبل .

واتخذ اعداء دعبل هذا القول وسيلة للايقاع بدعبل عند
المأمون ومنهم ابو سعد الخزومي فكان اثيراً عند المأمون فكان
ينشده هجاء دعبل هذا وغيره مما قاله في الخلفاء ، يحرضه على قتله فلم
يجد عند المأمون - بالطبع - بغيته ، بل كان المأمون يدفعه ويغير
الموضوع فيقول « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك
ممكن فقل ما يكذبه واما القتل فلست استعمله » .

وبهذه الروح لقي ابراهيم بن المهدي بعد أن عفا عنه وصالحه
فكان يروي هجاء دعبل بشير سخطة عليه . اما المأمون فما كان
يعدم وسيلة يصرفه ويضحك من هجاء دعبل لابراهيم ويقول قد
صفحت عنه لقوله .

ان كان ابراهيم مضطجعاً بها فلتصلحن من بعده المخارق
اذ قد قرئنا بمخارق وزلزل .

واستطال هذا الهجاء بين ابي سعد ودعبل حتى بعد المأمون .
ولا بد لي من ذكر نموذج منه وهو ما استطاع الجهر به .

ان ابا سعد قتي شاعر يعرف بالكنية لا الوالد
ينشد في حي سعد ابا ضل عن المذشود والناشد
فرحمة الله على مسلم ارشد مفقوداً الى فاقد

واخيراً فتقت الحيلة والمبقرية المخزومي وقد قصر في هجاء دعبل
ان جعل يزيد في تقيضته مما يحل معه دم دعبل فقد روي ان أحمد
الادباء اراد ان يسمع القصيدة النونية هذه وبروبها عن دعبل فلما
وصل في قوله الى هذا البيت .

من أي ثنية طالعت قريش وكانوا معشراً متذبطينا
قال دعبل معاذ الله ان يكون هذا البيت لي . ثم قال لعنه الله
وانتقم منه يعني ابا سعد المخزومي .

ولم يقتصر الهجاء القبلي على دعبل وابي سعد بل تعداه الى شعراء
خزاعة فرأينا ابن دعبل عليا يساعد أباه في ذلك وابن عم دعبل ابا
الشيخ يقول فيه ايضاً ولكن قصر خلافة المأمون كان لها اشد الاثر
في نتيجة هذه المشادة .

بعد المأمون

توفي المأمون سنة ٢١٨هـ. وبقي دعبل حتى سنة ٢٤٦هـ. وعثمانية وعشرون عاماً ليست بالعمر القصير على شيخ قد شبع من الأيام. أعاد حيوية دعبل لم تحمد وجذوته لم تنطفئ. فقد غاب ظنه بالأيام بعد المأمون. ولو كان كغيره لاستكان ولزم بيته وقد قام المعتصم وهو من الشدة بحيث لا ينكر، وقد هجر بغداد لترسخ سلطته في سر من رأى وينصرف لهذا الجيش الجديد من الموالي الاتراك الذي أعده لتوطيد دعائم الخلافة العباسية في الداخل والخارج وقد وفق كل التوفيق فقد قضى على ثورة بابك الخرمي وعلى ثورة مازيار في المشرق ثم لما استتب له الأمن الداخلي هاجم الروم في عقر دارهم ففتح عمورية وبعد ذلك قتل الافشين وكان حكيماً صارماً.

هذا ما يعرفه التاريخ. اما ما يعرفه دعبل فلم يكن على هذا الغرار فهو المعتصم بن الرشيد وهو الذي لا يهتم بالمذاهب بل هو السني الذي لا يوافق هواه وقد جمع حوله كل من لم يكن على هوى دعبل وفتك بابن المأمون العباسي في احدى نزواته، وقد اجتمعت

كل هذه فروى الناس لدعبل .

بكى اشتات الدين مكتتب صب
وقام امام لم يكن ذا هداية
وما كانت الانباء تأتي بمثله
ولكن كما قال الذين تتابعوا
ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
واني لأعلي كلهم عنك رفعة
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملوكهم
وفضل بن مروان يثلم ثلثة
اما دعبل فينفخها ويقول: وضعها ابن شكلة اي ابراهيم بن المهدي
فالما يئس من اغراء المأمون رى هذه للمعتصم وهو لا يحتمل، ويساعد
دعبل في هذا الادعاء ما رواه ابن عساكر باسناده .

« قال دعبل ادخلت على المعتصم فقال لي يا عدو الله انت الذي
تقول في بني العباس انهم في الكتب سبعة وامر بضرب عنقي ، وما
كان في المجلس الا من كان عدواً لي واشدهم ابن شكلة (ابراهيم بن

المهدي (فقام وقال يا امير المؤمنين انا الذي قلت هذا ونميته الى دعبل
فقال له وما اردت بهذا الا لما تعلم ما بيني وبينه من العداوة فاردت
ان اشييط بذيمة فقال اطلقوه فلما كان بعد مدة قال لابن شكلة سألتك
بالله انت الذي قلت له قال لا والله يا امير المؤمنين وليس احد انظره
ابغض الي من دعبل ولكنني نظر الي بعين العداوة ورأيت به بعين الرحمة
فجزاه المعتصم خيراً » .

هذه الرواية ان صحت غريبة عن طباع دعبل وعن طباع ابن
المهدي وهو الذي كان يتربص موته ويفري به مدة عشر سنوات على
الاقبل .

يروى هذه الرواية دعبل ليبدل على انها له وليست منتحلة والمحقق
ان دعبل لا تغير زمن المعتصم عما كان عليه زمن المأمون من الجراءة .
في زمن المعتصم هذا يعزى حرب دعبل من العراق الى الشام
ومصر والمغرب ولم يثبت عندي ذلك فقد رأينا في مصر زمن
الأمين وليس له من القوة ما يحمله على الاسفار وهو في هذه السن
حوالي السبعين ولا سيما وهم ينسبون اليه انه كان يصحب معه غلاميه
شفقاً وثقيفاً يغنيانه .

والمشهور ان المعتصم مات ودعبل متوار عنه وفي هذا التواري
اقوال كثيرة ، وانه كان ينزل على الشراة فيعرفونه ويضيفونه
ويؤاكلونه ويقول لهم الشعر ويغنيه غلاماه ويحفظونه عند الخليفة
الى ما هنالك مما يحتاج الى تدقيق وتحقيق .

وفي سنة ٢٢٧ هـ . مات المعتصم فتنفس دعبل الصعداء وظهر .
وما سمع ان محمد بن عبد الملك الزيات وهو وزير المعتصم يرثيه :
قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا في خير قبر خير مدفون
لن يجبر الله امة فقدت مثلك إلا بمثل هارون
حتى سمعنا دعبلًا يجهر بدون مواريه معارضاً :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا في شر قبر شر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما خلقتك إلا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعه من اضر بالمسلمين والدين
ومع اسفاف هذا القول ، لم يشك أحد في انه لدعبل والشاعر
يقول كما يأتيه وخاصة اذا كان معارضة وقد تكون بديهة . او هو
يقربها الى اذهان العامة او كما يقول خصمه « سائغة للسفلة والرعا ،
وهم الاولى بنشرون مثلها .

اما الواثق خليفة المعتصم فلم يكن بالعبير ولا النفير وهو موسيقار
اديب ولم تدم خلافته غير أربع سنوات لم نستطع ان نرى أثرها
في دعبل بل وهو قد جاوز العشرين ركن الى ركن غير مكين . وظل
شيطانه ينفث هذا الشعر المقاق . وام يزل اعداؤه من الشعراء والعظماء
يتعقبونه بالقول والمشادة ، لذلك رأيناه بعيداً عن بغداد وسامراء
بحوار البصرة يوم مات الواثق فهتف مطمئناً .

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء اذا أهل البلى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد
هذا على رخائه وسداجته من الشعر الجيد القوي يدل على هذه
الروح المطمئنة .

ولا يخفى انه بعد موت الواثق ابتليت الشيعة بحبار العباسيين
ونثرون العرب كما يقول السيد مبر علي في تاريخه (مختصر تاريخ
العرب) باللغة الانكليزية .

فضاقت الارض بدعبل وتعاونت عليه السنون وقد امتدت أيامه
الى آخر خلافة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) .

وفي هذه الايام اتصل بالبحثري شاعر المتوكل وطبع دعبل
لا يتفق مع السكوت في مثل هذه البيئة ولكننا لم نسمع له إلا بيتاً
فاحشاً .

ولست بقائل قذعاً ولكن لامر ما تعبدك العبيد

وفي قوله هذا (ما) كل الهجاء واقذعه .

ومن الطبيعي ان يشتد ساعد اعدائه في زمن المتوكل وان
يضيق ذرعه عن مقاومتهم فسقط في وسط المعركة شهيداً .

الهزء عند دعبل

الهزء من دعائم الهجاء وقد رمى اليه فحول الهجائيين . اما هذا
التشفي واللوئم في منافذ القول فقد خص بهؤلاء الذين يرون في الحياة
- على شتي مظاهرها - كرها لمن اسيء اليهم خلقاً مثل بشار والخطيئة
او خلقاً كابن الرومي واشباهه ، او ان يهجرها الانسان بنفس مرة
فيرى فيها كل لوئم كما كان يفعل المعري مثلاً .

اما دعبل فلم يكن من هؤلاء بل هو من اولئك الذين يرون في
الحياة متعة وانها وسيلة السمو ، واخلق المثالي ولاسكنها احيانا تولي
مدبرة عن قوم لحكمة لا يفهمها ، وتقبل على آخرين لا يستحقونها ،
فهو يدير بصره في من حوله فيرى هؤلاء العفاه وقد انحرفوا في ميولهم
عن الحقائق فيقتذفهم عن قوس مرئان ، فيصمي ، وحينما يعود الى
هداه فيتلهى بمن هم حوله وقد يكونون أقرب الناس اليه ، اما اللوئم
الذي يبعده عن الحياة الرافهة فلا نجده في كل ما نظم من هذا
المنحى .

والآن امامنا هؤلاء القوم الذين يمثلهم الفضل بن مروان . ومن

هذا الفضل ؟ نرجع الى كتب التراجم فنرى صاحب الفهرست يظهره
بكلمة هي من باب هجاء دعبل « خدم المأمون والمعتصم ووزر له
وخدم من بعدهما الخلفاء ، وكان قليل المعرفة بالعلم ، حسن المعرفة
بخدمة الخلفاء » .

اما قوله قليل المعرفة بالعلم فهو علم الرسائل والسكرتابة ، وحسن
المعرفة بالخدمة فيغلب انها تدبير المال وقد كانت من خصائص اهل
الذمة .

وهذا الفضل بن مروان بن ماسرخس بالطبع منهم .
وفي المسعودي انه من وزراء المأمون في آخر ايامه . واي احتمال
يستطيع دعبل ان يرى الفضل هذا وزيراً بعد الفضل بن سهل والفضل
بن يحيى واضرابها ان وجد . لذلك مر به يوماً فقال :

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل	وقلت فسirt المقالة في الفضل
الا إن في الفضل بن سهل لعبرة	ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ	اذا فكر الفضل بن مروان في الفضل
فابق جيلاً من حديث تفز به	ولا تدع الاحسان والاخذ بالفضل
ولم ار اياتاً من الشعر قبلها	جميع قوافيها على الفضل والفضل

وليس لها عيب اذا هي انشدت سوى ان نصحي الفضل كان من الفضل
فبعثت اليه الفضل بن مروان بدنانير وقال قد قبلت نصحك فاكفي
خيرك وشرك .

والمتفحص هذه الابيات لا يرى الجدة فيها ولا ذلك الايجاع الذي
كنا نحسسه عندما يذكر المغتصبين للحق أو عندما يقول في تنقيس
الكرب .

اما ان قوافيها كلها على الفضل وان التمثل لا يرى فيها الايطاء
في الشعر اي ان كل فضل له معنى فهو مقبول من باب الدعاية .
واري ان بعض شعراء النهضة الحديثة في العراق ولبنان جروا
في حلبة دعبل عندما اختاروا الخال قافية لبعض قصائدهم .
ولم يقتصر هذا الهزء على الفضل بن مروان فقد رأينا دعبلاً
يقول في وزير آخر للمأمون هو ابو عباد وقد ضرب المأمون المثل
بجراًة دعبل عندما يهجو مثل هذا الوزير .

اولى الامور بضیعة وفساد امر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم حضروا للمحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدوانه فضمخ بدم ونضح مداد

وكأنه من دير هرقل مفلت حرد يمر سلاسل الاقياد
فاشدد امير المؤمنين وثاقه فاصح منه بقية الحداد
وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان فلما قرأها المأمون ضحك
وقال لمن كان قريباً منه « والله ما كذب دعبل في قوله » .

وقيل له مرة ان دعبلأ قد هجأك فقال واي عجب في ذلك وهو
يهجو ابا عباد ولا يهجوني انا ، ومن أقدم على جنون ابي عباد أقدم
على حلمي .

بالطبع هو يتكل على حلم المأمون وهو يعلم العلم كله ان مثل هذا
الجزء ينزل على قلب المأمون برداً وسلاماً وقد صدق حدسه . وإلا
لماذا لا نرى دعبلأ يهزأ من غير هذين الوزيرين ؟

ويمكن ان نضيف الى هذين الهجاءين ما كان يعيث به في خلواته
حينما لم يكن يتحرج ، ولا أدري من كان يروي له هذا الهجاء في
جاريته أهي أم غيرها .

اما جاريته فاسمها (غربال) ولسكنها في الشعر غير متفقة الوزن
فهي اما غراب او غربل بدون اللام وهذي هي الايات .

رأيت غراباً (غربالاً) وقد اقبلت فابدت لعيني عن مبصقه

قصيرة (الخلق) خلق ودحداحة تخرج في المشي كالبنده
 كان ذراعاً على كفها اذا حسرت ذنب الملعقة
 تخطط حاجبها بالمداد وتربط في عجزها مرفقه
 وانف على وجهها ملصق قصير المناخر كالنستقه
 هذه صورة ربما كانت صادقة او جسمها الشاعر بتخيله وهي جاريته
 يتلوى بها او يفكه نفسه في ساعة سرور .

وربما رأى اخرى او هي نفسها فقال مقطوعة يعجبني منها .
 صدغاك قد شططا ونحرك بابس والصدر منك كجؤ جؤ الطنبور
 ولدعبل مثل هذه المواقف فذكر منها :

لتي دعبل صالح بن عطية الاخجم وكان قبيحاً ومن أصحاب
 الدعوة فقال بداعبه (وفي الاغانى انه خاطب بها المعتصم) ولا يحتاج
 سخف هذا القول الى نقض فهو من اصحاب الدعوة والقول صريح .
 قل للامام - امام آل محمد - قول امرء حذب عليك محام
 انكرت ان تقرر عنك صنيمه في صالح بن عطية الحجام
 ليس الصنائع دنده بصنائع لكنهن طوائل الاسلام
 اضرب به جيش العدو فوجهه جيش من الطاعون والبرسام

ويمكن ان نعزو هذا الضرب من الهجاء الى الهجاء الفني فهو
يتلهم كما يتلهم الرسام بريشته ساعة خلو وراحة . ولا يحسب ان
يكون بين روائعه .

اما هؤلاء الحريصون على اظهار الكنوز فلم يكشفوا لنا عن كل
ما قال دعبل من الشعر إلا هذه الصور الملونة والتي لا يمكن إلا أن
تدل على ذوقهم فقط .

والى هذا الضرب يمكن ان نضيف قوله برسم صورة عامل سأل
حاجة فلم يقضها لشغل عرض له دونها .

حواجب كالحبال سود الى عثمانين كالمخالي

وأوجه جهمة غلاظ عطل من الحسن والجمال

فقوله أوجه يدل دلالة صريحة على ان الابيات هي المشهورة وما
صدر بها هو من تعليقات محبي دعبل فكيف يفسد دعبل ذوقه بان
ينسب الوجوه الى رجل واحد ؟

ومن يستطيع ان يهاجم دعبلًا وكل أهل عصره برهبه ولكن
من الناس من لا يقدر الافدار فقد كان في مجلس فيه جارية ، فعن
لها ان تعبت به ويظهر انه كان ايام لا يتم للجواري ولا للغناء فهوها

عنه فلم تنته فأنشدها بديها هازما :

تخضب كفا قطعت من زندها

فتخضب الحناء من مسودها

كأنها والكحل في مرودها

تكحل عينيها ببعض جلاها

وكانت العاقبة ان سيد الجارية قد خسرها ولم ينتفع بها بعد

ذلك .

وقد كانت هذه الابيات متداولة وقد اختارها ابو تمام في حماسته

ولم ينسبها الى دعبل بل قال : « قال أحدهم » وأبو تمام من معاصري

دعبل وسنعرض له .

لون من الهجاء

يجدر بنا ألا ندع هجاء دعبيل قبل ان نظهر لونا آخر من الهجاء وهو الذي نرى عنه عمر بن الخطاب الخطيئة يوماً .

وفي الاغاني رأي ذكره في الكلام عن الخطيئة وكرره بنسبه الى بشار ورأبته في دعبيل ايضاً ولكنه على وجه أتم وهو يرجع فيه الى ابي خالد الخزازي الاسلمي وهو نفسه الذي روى عنه خبر تشطره كما مر :

« قلت لدعبيل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً فانت دهر ككاه شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك . فقال ويحك اني تأملت ما تقول فوجدت اكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيداً اذا لم يخف شره ولمن يتقيك على عرضه اكثر ممن يرغب اليك في تشريفه ، وعيوب الناس اكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجوذ والمجد والشجاعة ، ولم

يكن ذلك فيه انتفع بقولك فاذا رآك او جئت عرض غيره وفضحته
اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر. ويحك يا ابا خالد
ان الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع .

هذا قول اشك فيه كل الشك فلم يكن دعبل يهجو لينال الجوائز
كما كان يفعل من سبقه ، أو ليكون باب رزق . فقد هجا الخلفاء هجا
الرشيذ كما قلنا في باب الاستتباع وهو يمدح آل البيت - وأهل البيت
عنده نقطة الارتكاز - وكان بعد موت الرشيد بخمس عشرة سنة
على الأقل ، وهجا ابراهيم بن المهدي مدعي الخلافة وهو لا يطعم فيه .
وقد زفر زفرة ايام المأمون ساعة لم يكن يطعم في جائزه وكذا القول
في المعتصم والواثق والمتوكل .

ماذا ينتظر من ابي سعد الخزوي وامثاله من الشعراء كابي تمام
او ماذا ينتظر من أبي عباد غير الجلد ومن الفضل بن مروان غير
الهزء .

هؤلاء هم الذين هجاهم فمن منهم ينطبق عليه هذا القول الذي
تبجح به صاحب الاغانى بلسان ابي خالد الخزازي .

اما اللون الذي اریده الآن فهو الاقذاع وقد حدده عمر بن

الخطاب للحطيئة بقوله « هو ان تفاضل بين رجل وآخر وبين قبيلة
واخرى » .

وقد كان دعبل امير الهجاء من هذه الناحية وربما كان لا تحاذه
عمود الشعر مع صديقه البحتري كما سنذكر قد ابدع في هذا الباب
وله فيه لسعات دونها ما للافاعي .

كان القاضي أحمد بن ابي دواد زمن الوراق والمتوكل وزيراً
وكان معتزلياً ومن الذين تركوا في عصرهم دويماً فلمثل القاضي ولمثل
يحيى بن اكرم يجب ان يوجه دعبل سهامه ، وكلاهما يقوم مقام الخليفة
حتى يكون فصلاً كما فعل يحيى بن اكرم زمن المأمون بارجاءة عن
المتعة .

يقول دعبل في احمد بن ابي داود في ساعة جد كل الجد فيصيب
عصفورين بحجر واحد احمد بن ابي دواد والهيثم بن عدي مقذعاً :
سألت ابي وكان ابي عليماً بساكنة الجزيرة والسواد (١)
فقلت له أهيثم من عدي فقال نعم كأحمد من دؤاد

(١) في الفهرست بدل العجز (باخبار الحواضر والبوادي)

فإن يك هيثم من حي قيس فأحمد غير شك من أباد
 متى كانت أباد رأس قوم فقد غضب الإله على العباد
 وبذكر هيثم هذا نعلم أنها قُيِّلت قبل سنة ٢٠٧ هـ عام موت الهيثم
 وهو عند الحسن بن سهل كما في كتاب الفهرست .

ولما كان القاضي ابن أبي دؤاد يتعرض لدعبل ويسببه أيام المأمون
 والمعتصم ويحرضها على قتله كان يهجوهم هجاء جدياً مؤلماً يمكن أن
 يذكر منه يوم زوج القاضي امرأتين من بني عجل في سنة واحدة
 فقال من قصيدة :

ان كان قوم اراد الله خزيهم فزوجوك ارتعاباً منك في ذهبك
 فذاك يوجب ان النبع يجمعه الى خلافاك في العيدان او غربك
 ولو سكت ولم تخطب الى عرب لما انشبت^(١) الذي تطويه من سببك
 عند البيوت التي ترضى بخطبتها تجمد فزارة العكلي من عربك
 وكان فزارة هذا صديقاً لدعبل كما يدعي فلقمه فقال يا أبا علي
 ما حملك على ذكرى حتى فضحتني وانا صديقتك ؟ فقال يا اخي والله

(١) الصبيح (نشرت) اوافقة تطويه بعدها .

ما اعتمدتكم بمكروه ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبه الله عز وجل عليكم ولم اعتمدك به .

ولقد كرر مثل هذا فقد غضب على ابي نصر بن جعفر بن محمد بن الاشعث وكان دعبل مؤدباً له ولكن ابا نصر عقسه فلم يستطع ان يتحملة فقال فيه :

ما جعفر بن محمد بن الاشعث عندي بخير ابوة من عثث
عبثاً تمارس بي تمارس حية سواراة ان هتتها لم تلبث
لو يعلم المفرور ماذا حاز من خزي لوالده اذا لم يعث
فلقيه عثث فقال له عليك لعنة الله اي شيء كان بيني وبينك
حتى ضربت في المثل في خسة الآباء ؟ فضحك وقال لا شيء إلا اتفاق
اسمك واسم ابن الاشعث في القافية او لا ترضى ان اجعل اباك وهو
اسود خيراً من آباء ابن الاشعث بن قيس ؟

قد يكون ذلك صحيحاً وهو عبث كله . وهو يخالف ما ذكره
الرواة من ان دعبل كان يتعمد الهجاء ليكون باباً للكسب .

اما يحيى بن اكرم فلم يكن عند دعبل باحسن من سلفه القاضي
احمد بن ابي داود ايام المتوكل فقد ولي القضاء بعد عزل احمد بن

ابي داود سنة ٢٢٧ وافق انه ولي قاضين اعورين احدهما على الجانب
الشرقي والآخر على الجانب الغربي فلم يستطع دعبل ان تمر به هذه
الساحة فانشد .

رأيت من الكبراء قاضيين ها احدثوة في الخافقين
قد اقتسما العسى نصفين قدا كما اقتسما قضاء الجانبين
وتحسب منها من هز رأساً لينظر في موارث ودين
كالك قد جعلت عليه دنا فتحت بزاله من فرد عين
ها فال الزمان بهلك يحي إذ افتتح القضاء باعورين
اما هذا الفأل وما فيه من الاستعارة التهكمية فبالغ حد الاجادة
وان كان هذا الهجاء من بضاعة العامة ، وقد رأينا ان دعبلا عندما
يريد هجاءه ان يذاع ببسطه ويسهله حتى يكون في مفهوم العامة .
وبالتحقيق نعلم ان شأن دعبل في هجاء الوزير هو لغايته الحقيقية
نفسها أي انتقاماً لمذهبه منه وكان القاضي الوزير يحي بن أكرم
أشدهم عنفاً في مذهبه .

وبيت دعبل في الذروة من خزاعة كما رأيت لم يتقدمه إلا بيت
بني اهبان مكلم الذئب ولهذا اللقب صلة بعهد النبوة فقد جاء جدهم

الى النبي (ص) فحدثه ان الذئب اخذ من غنمه شاة فتبعه فلما غشيه
بالسيف قال له مالي ولك تمنعني رزق الله فقال له الخراعي يا عجبا للذئب
يتكلم فقال اعجب منه ان محمداً قد بعث بين اظهركم وانتم لا تتبعونه،
فبنوه ينتسبون الى مكلم الذئب فخرأ .

اما دعبل فلم يستطع ان يحتمل هذا الادعاء وان يقسامي عليه
حتى اقربوه الادنون فقال فيهم مستهزئاً ماشاء .

تم علينا بان الذئب كلكم	فقد لعمرى ابوكم كلهم الذئبا
فكيف لو كلهم الليث الهصور اذا	افتيتم الناس ما كولا ومشروبا
هذا السنيدي لا يسوى اتاوته	بكلم القيل تصعيداً وتصويبا

شيعة دعبل

هل من ينكر ان دعبلاً كان شيعياً ؟ ومتحمساً جريئاً على اعداء الشيعة ؟ كل من كتب عنه قال هذا القول . ان دعبلاً شيعي . ولكن ابن اقواله في الشيعة ؟ قد بقي ستين سنة كما يقول الجاحظ يقول الشعر كل يوم قابين هذا الشعر ؟ والذين حفظوا العلم عن الشيعة اكثر من سواهم . وعصر دعبل هو عصر التدوين وقد بقيت أشعار الفحول من اهل عصره وغير الفحول . وقد امتدت ابام دعبل حتى امكن ان يجمع شعره وكان أبنه شاعراً يمكن ان يحافظ على تراث ابيه وصاحب الفهرست وقد كان سنة ٣٧٧ هـ . لم يزل حياً وهو شيعي يذكر ديوانه ثلاثمائة ورقة فكيف ذهب هذا الديوان ؟

لم استطع ان اعثر عليه مطبوعاً مع كل تنقيبي وما سمعت انه مخطوط في مكتبة . وبلا شك ان هذه القصائد في الشيعة قد ذهبت بعد ابن النديم صاحب الفهرست . ولو لم يحفظ لنا ياقوت التائيمة الكبرى التي دعوتها بآية العصر لما كان دعبل إلا هجاء ، خبيث اللسان كما هو معلوم عند جميع من يسمع به .

اما وقد نقبنا عنه ورددنا كل هجاء الى اصوله فليس من شك
ان شيعيته ملأت عليه كل تفكير . وكان كيفما فكر فيها بفكره وكل
حدث له يتصل بها ، حتى لما قال تقيضته للكميت وكانت سبب بلائه
ذكر فيها الفخر بالنبي وآله .

ما هي هذه القصائد التي قالها في علي وآله من الأئمة ؟ ماذا اعد
للأئمة في زمانه وقد عاصر منهم على الاقل اربعة ؟ لم نسمع الا في
هجاء الرشيد القول في الامام الرضى بعد موته .

وقد من علينا يا قوت ببعض قصيدة قالها في رثاء الحسين عليه
السلام نذكرها آسفين لضياح باقياها .

رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع لا جازع من ذا ولا متخضع
ايقظت اجفانا وكنت لها كرى وامت عينا لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية واصم نعيمك كل اذن تسمع
ما روضة إلا تمنى انها لك مضجع وخط قبرك موضع
ابقول دعبل في تقيضة واحدة ستائة بيت ولا يبكي الشهيد إلا
بهذه القطعة التي هي كالعنوان للكتاب وبه يستدل .

وقد عثرت على بيتين في امير المؤمنين علي بن ابي طالب اجاد فيها
ما اراد :

كأن سنانہ ابدأ ضمير فليس له عن القلب انقلاب
وصارمه كجميعته بحم فوضعها من الناس الرقاب
امثل هذا الشعر يذهب ضياعاً ؟ يظهر ان للشعر كما للناس حظوظاً .
دخل عبدالله بن طاهر على المأمون وجعل يعرض بدعبل والمأمون
يضحك وقد طابت نفسه فقال اي شيء تحفظ يا عبدالله لدعبل . قال
احفظ ابياتاً له في اهل بيت امير المؤمنين قال هاتها ويحك فانشدته
قول دعبل .

سقياً ورعياً لا يام الصبـابات ايام ارفل في اثواب لذاتي
أيام غصني رطيب من لبانتہ أصبو الى غير جارات وكنـبات
دع عنك ذكرى زمان فات مطلبه واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله نحو الهداة بني بيت الكرامات
قال المأمون انه قد وجد والله مقالاً فقال وقال ببعيد ذكرهم
مالا يناله في وصف غيرهم .

ومن يصدق ان شهادة المأمون تفتصر على سماعه هذه الابيات

الاربعة ؟ ألا يخجل صاحب الاغاني عندما يقف عند هذا الحد ويدكر
من سخافات دعبل في مقابل ذلك قصائد ؟ وقصده لا يخفى وان كان
شيعياً .

ولنا قصة توضح رأيه ورأي الناس فيه .

فقد جرى بينه وبين احد ولد الزبير بن العوام كلام اثر عريضة
وادعى الزبيري على دعبل انه شتم صفية بنت عبد المطلب واشتمد
القاضي متحمساً فطلب دعبلاً فهرب من الغوغاه وجاء القاضي وختم
بابه فكتب اليه دعبل برقعة فيها « مارأيت قط اجهل منك إلا من
ولاك فانه اجهل ، يقضي في العريضة على النبيذ ويحكم على خصم غائب
ويقبل عقلك اني رافضي اشتم صفية بنت عبد المطلب ، سخنت عينك ،
امن دين الرافضة شتم صفية ؟ ! » .

ذكرت كلام دعبل بحرفيته وارى الضعف والاسفاف فيه ولاكن
لا يتعارض مع ذكر الحقيقة فقوله الرافضة ودين الرافضة . وهل كان
الرافضة في زمن دعبل اسماً يطلق على الشيعة الامامية ؟ كيف تفسر
قول علي بن الجهم في المعتصم .

ورافضة نقول بشعب رضوى امام خاب ذلك من امام

امام من له عشرون الفا من الاتراك شارعة السماء

والذي في شعب رضوى هو محمد بن الحنفية .

قد يكون الرافضة اسم يطلق على كل من يتشيع لعلي .

اما الشيء الذي يدعوه الى الشك فهو اقراره بشرب النبيذ
والعريضة . فاذا لم يكن شتم صفة من دين الرافضة ا يكون شرب
النبيذ والعريضة من هذا الدين ؟

لم يستطع متعنت ان يتهم دعبلّا بأخراجه يوماً عن شيعيته ولم
يكن يقول بالتقية فهو يصرح اني اهل خشيتي ستين سنة ولم اجد
من يصليني عليها وهو يدافع بلسانه ما استطاع ولودعي لاهل السلاح
لما تأخر .

لم نسمع بانه اشترك في شغب او ساعى في ثورة وانه كان يعيش
بالأمل المرجو وانه كان يحبر :

فما نفس طيبي ثم بانفس البشري	فغير بعيد كل ما هو آت
فان قرب الرحمان من تلك مدني	واخر من عمري لطول حياتي
شفيت ولم اترك لنفسي رزية	ودويت منهم منصلي وقناتي

فانه قد وفر منصله وقناته لليوم المنتظر .
 وذكر انه كان يتقاد السيف وقد هم مرة على عدوه ابي سعد
 الخزومي فهرب منه وجعل يتبعه شاهراً السيف حتى غاب عنه .
 كان اخلفاء يملكون مذهبه هذا وكان الشراة وهم في هذه الايام
 من الخارجين على السلطان ويجمعون في كثير من الاعتقادات مع
 دعبل « فيلقونه ولا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه » ان
 الغريب يسمع الغريباً .

ثم يذكر جميع الرواة انه كان يوماً في البصرة وعلى رأسه غلامه
 ثقيف فمر به اعرابي يرفل في ثياب خز فقال دعبل لغلامه ، أَدْعَ لي
 هذا الاعرابي فأوما الغلام اليه فجاءه . فقال له ممن الرجل ؟ قال من بني
 كلاب قال من اي ولد كلاب انت ؟ قال من ولد ابي بكر . قال دعبل
 او تعرف القائل ؟

ونبئت كلباً من كلاب يسبي	ومحض كلاب يقطع الصلوات
فان انا لم اعلم كلاباً بانها	كلاب واني باهل النقمات
فكان اذن من قيس عيلان والدي	وكانت اذن ابي من الحبطات

وهذا الشعر لدعبل يقوله في عمرو بن عاصم السكلابي .

فقال له الاعرابي ممن انت فكره ان يقول له من خزاعة فيهمجوه
فقال انا انتمي الى القوم الذي يقول فيهم الشاعر .

اناس علي اخير منهم وجعفر وحمة والسجاد ذو الثغفات
اذا فخروا يوماً اتوا بمحمد وجبريل والفرقان ذي السورات
فوثب الاعرابي وهو يقول « مالي الى محمد والقرآن والسورات
مرتقى » وما اظلمهم يعنون اخلاص دعبل في هذه الرواية وانه كان
يتستر تحت هذه الاسماء .

شِعْرُ دُعْبَل

يقول الجاحظ « سمعت دعبل بن علي يقول مكثت ستين سنة
ليس من يوم ذر شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً » .

هذا قول شاهد عيان ، فقد عاصر الجاحظ دعبلاً وربما كان من
لداته ، وقد عاش بعد دعبل تسع سنوات وان كانت بمثابة الموت - عاش
السنوات الست الأخيرة مفلوجاً - ولو اخذنا الكلام على حقيقة
لوجدناه مقتصداً فكيف فعل بالمشرين السنة الأخيرة . انه شاعر
وانه يقول الشعر دائماً وعلينا انه قال الشعر وهو غلام وانه من هؤلاء
الشعراء الذي نشأوا في الكوفة وقد عاشوا اعرابها واعراب البوادي .
ومع الاسف اعلن ان هذا الشعر الكثير لم يظهر حتى اليوم
لندرسه درساً مشبعاً وان ما بين ايدينا منه لا يظهر إلا لوناً واحداً
مهما نلونه ونسبغ عليه من التحاليل .

والادب لا يقاس ، اي لا يكون قليله دليلاً على كثيره فقسيمة
وقصيدتان اشاعر لا يكفي ان تظهر حقيقة وان كانت تكشف لنا عن
تلك الناحية على الاقل . ان شعراً يقال في مدة سبعين سنة كما يقول
دعبل اذ سمع منشداً :

ابن الشباب واية سلكا ؟ لا ، ابن يطلب ؟ ضل بل هلكا
قال اني قلت هذا الشعر من سبعين سنة .

ان شعراً تتفاوت ايام انشاده لا يمكن ان يقاس كثيره على قليله .
واذا نظرنا الى قطعة ابن الشباب ، وهي قطعة شعر لغلام في بدء حياته
الشعرية ، الا نحكم على شعره السكالي بشعر الفحول ؟

عند هذا نقول يجب ان نعتمد على الاقوال والروايات في
الدرجة الاولى لضياح شعره وتقصينا زمانه ولا سيما ما كان في اوله
والى اية صلة يت من هذه المدارس الأدبية التي نعرف ؟

ذكر انه كان يتخرج علي مسلم بن الوليد - ويظهر ان مسلماً
كان ذا حظ كبير من الشهرة - ربما كان لهذا الجديد الذي اتخذه وهو
البديع وكان محبباً الى النفوس وربما كان لمعاصريه من الشعراء كلبي
نوايس مثلاً دخل في ذلك . فان مجلس ابي نواس كان يمزى اليه من
المخازي ما يبعد عنه الناشئين .

ومسلم وان كان صريع الفواني - إلا انه كان يجتنب هذه الشائعات
حتى هذا اللقب ويعده لقب ضمة وتعمير فكان يهتف :
لا تدع بي الشوق اني غير محمود نهى النهي عن هوى الغيد الا ماليد

لذلك كان أهل الجدل يفضلون مسلماً ، وربما كان للبرامكة اثر في ذلك فلم يكن أبو نواس يستسيغهم ، ولا كانوا يستسيغونه بينما كانوا يقربون مسلماً حتى الفه الفضل بن سهل من مواليهم وقد ولاء عملاً للمأمون بينما كان أبو نواس مطرماً وربما في السجون .

وقد رأينا البحتري الناشئ يرى في مسلم وأبي تمام كل شرف وغاية كل أمل ، ولا يذكر أبا نواس .

بعد هذا نعم لماذا اختار دعبل مسلماً في أول عمره ، ولكن الشاعر لم يستغف طريقة مسلم بل مجها كما مج البحتري طريقة أبي تمام بعد ان خبرها ، فعمد الى الطريقة القديمة الصريحة الجزلة وابتعد ما شاء عن هذا البديع الجديد .

وكان دعبل كما تقدم في الايام والشعر رأى ان للقديم حرمة . وان هذا الجديد لا يدانيه ولذلك كان البحتري يقول « دعبل بن علي اشعر عندي من مسلم ومذهبه اشبه بمذاهبهم » .

لم يكن هذا رأي البحتري وحده بل كان رأي كثير من معاصريهم في كان عظامهم كما هي عادتهم مع علماء السكوفة يعهدون الي

دعبل بتأديب صغارهم كالفضل بن العباس . . . بن محمد بن الاشعث
مع وجود شعراء كثيرين غيره .

كل علماء الشعر يرون رأي البحري في دعبل إلا من كان دعبل
يشارهم كابي تمام ، وكان من الطبيعي ان يكون مجانباً لأبي تمام هذا
الشامي الذي جاء غربياً يدعي الشيعة ويمدح آل البيت ولما وصل الى
الخلافة اذا هو عبد المعتصم ورجال المعتصم ودعبل هو من هو من
المعتصم .

كما ان شعر ابي تمام لم يرق لدعبل وشعره الجزل الراق ، الناصع
البعيد عن التعقيد والغريب . وكيف يكون هذا شاعر الخلافة يذكر
وقائع الاسلام ويتغنى بها . لذلك لما مات محمد بن حميد الطوسي ورثاه
ابو تمام برأبته الرائعة .

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
تصدى له دعبل وجعل يعيد ابياتها بيتاً بيتاً الى شعر قديم ،
فكان لذلك اثر شديد في نفس ابي تمام وجعل يترقب له كل سانحة .
فلما هما دعبل ابا نضير بن حميد الطوسي بقوله من قصيدة :
اني هزرتك لا الوك مجهداً لو كنت سيفاً ولكني هزرت عصا

لجأ أبو نضير الى ابي تمام وكلاهما طائي فقال ابو تمام يجب
دعبلًا - ولم تكن بضاعة ابوتام بالهجاء مما يستحب - من قصيدة :
وما وفد المشيب عليك إلا باخلاق الدناءة والوضاعة (١)
الى ان يقول :

مناسب طيء قسمت فدعها فليست مثل نسبتك المشاعة
وروح منكبيك فقد اعيدا حطامًا من زحامك في خزاعه
فرد عليه دعبل :

انظر اليه والى ظرفه كيف تطايا وهو منشور
وبلك من دلاك في نسبة قلبك منها الدهر مذعور
لو ذكرت طي على فرسخ اظلم في ناظرك النور
ذكرت هذا الهجاء برهانا على هذا الجفاء بين دعبل وابي تمام
لاختلاف شريهما ومذهبيهما في البديع وعدمه .

اما شعر دعبل فمكاه يصلح للتمثيل إلا ما كان معاقبة واستهزاء
وعندي ان مثل هذه القطعة من الشعر تجري مع اسمى الشعر
العباسي :

(١) في الروايات والرضاعة والتصحيف بين الراء والواو ظاهر .

ألم بأن للسفر الذين تحملوا الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم املك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الاليالي صرفهن كما ترى لكل اناس جذبة وريبع
هذا هو الشعر الناصع المشرق السهل المتنوع الذي يمت الى الشعر
القديم والذي وجد فيه البحثري ، المشرق البيان كل غاية ، اما لنطق
هذه السوابق فهو البيان كله او كما يقول البحثري في مثل هذا
الموقف « لا يشاب البيان فيهم بلبس » .

اما الجذبة والريبع لكل اناس في اعرابية محبة .
وقد قال المأمون - وذوقه الشعري لا ينكر - عندما سمعها
« ما سافرت قط وإلا وكانت هذه الابيات نصب عيني في سفري
وهجري ومسلتي حتى اعود » .

وطريقة البحثري ظاهرة في شعر دعبل او قد اتفقا على الوجهة
التصويرية في ابراز المعاني يقول دعبل في ما يدعو اليه .

فتى سألتك حاجة ابدأ فاشدد بها قفلاً على غلق
وقف الاخاء على شفى جرف هار فبعه بيعة الخلق

واعد لي قفلاً وجامعة فاشدد يدي بها الى عنق
 اغفيك مما لا تحب بها واسدد علي مذاهب الافق
 ما اطول الدنيا واعرضها وادلني بمسالك الطرق
 وهذه صور لا تحتاج الى توضيح ، القفل على الفلق وبيع الاخاء
 بيع الثوب واعداد القفل والجامعة لشدد الايدي الى العنق الى
 ما تنطوي عليه هذه المراحي البعيدة ، كلها مما يحفل بها شعر دعبل .
 وأحر بنا ان نذكر قطعته الشهيرة في الشيب فهي نموذج من شعره
 الفني القوي قائلها وهو غلام فما له وللشيب وهو في مطلع الشباب
 والدنيا باسمه له ، فما الذي اجري ذكر المشيب على لسانه . قد يتظرف
 الشاعر اذ يجد شعرة بيضاء في مفرقه كما وقف ابو فراس الحمداني امام
 المرأة فأنشد :

وما اربت على العشرين سني فما شأن المشيب الى شبابي
 اما هذا الغلام الايد الذي طاول المائة من السنين فلم يقول الشعر
 في المشيب ؟ ولا يقتصر على بيت هو لمح تكفي اشارته كما يقول
 البحري في الشعر بل جعل يردده ويكرره ، وقد سمعه الرشيد وام
 ينفر منه كما كان ينفر عند ذكر المشيب لان قائله غلام غير متهم عنده

ولا معرض . لله در الشعراء كيف يظهرون ما لا يعنون .

ورأيت له نوعاً من الشعر فيه هـ هذا التكلف البعيد عن طبعه
كقولهم : قدم صديق لدعبل من الحج فوعده انه يهدي له نعلاً فأبطأ
عليه فكتب له :

وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تبتغي شتماً وقدفاً
فان لم تهدي لنعلاً فكفها اذا اعجبت بعد النون حرفاً
اي يريد انه نفل وتلاعب به هذه السفاسف يدل على انبساط نفس
وام يكن هذا التلوي في اهل طبقة وان رووا عن ابي نواس ما يشبهه
وهو من عيوبهم .

اما مذهب دعبل في الشعر فقد صرح فيه بما وصل اليه :
لفوني ولما ينغي غير شامت وغير عدو قد اصيبت مقالة
يقولون ان ذاق الردي مات شعره وهيها عمر الشعر طال طوائله
سأقضي بيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حامله
« يموت ردي الشعر من قبل أمه وجيده يبقى وان مات قائله »
ثم عاد فنظم المعنى في قافية اخرى من قصيدة :
لا تعرضن بمزح لامرئ طبن ما راضه قلبه اجراه في الشفة

قرب قافية بالمزح جارية مسنونة لم يرد انماؤها تمت
اني وان قلت بيتا مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت
وقد خيبت الايام امله فقد مات شعره بعد موته، وقد يبعث حياً
في احدى المكاتب المهجورة، ولو علم الشيخ دعبل ان كثيراً من
سخافات ابن الحجاج واقذار ابن سكرة وابن لنكك بعد عصره قد
حفظت لليوم وضاعت قصائده التي وقف حياته عليها والتي كان
يخطر برأسه لاجلها، لغير ظنه بالايام.

كم كانت مجالس دعبل مما تشتهي عند النسابين من الشعراء
والعظماء وقد ابقى لنا البحتري احداها اذ ذكر مرة انه خطي بها فدعا
الى ذلك الاجتماع صديق الادباء وعارف قديرهم علي بن يحيى المنجم
بقوله:

ماذا تقول ولم تزل ذاهمة فضل تقول بها الجميل وتفعل
في فتية بكروا علي تطربا من اوجه شتى وفيهم دعبل
كما ان اجتماعاته المتواصلة بعبدالله بن طاهر وهو الاديب المعروف
لا تحتاج الى تبيان.

ويجب ان يعلم ان شعر دعبل الذي بين ابد بنا اليوم لا يحله هذا المحل
الذي كان له بين اقارنه ففيه السقط والمرذول ولكن روايتهم بالاتفاق
تسمو به الى المكان الرفيع ولما لم يتصل بنا شعره ولا سنه إلا هذا
الردل في هجاء اقارنه وهو كثير وإلا القليل في هجائه الجدي المعني
وهو من الطبقة الاولى وإلا هذا الشعر الشيعي الذي لا يباري كالتأمية
الكبرى مدارس آيات والرائية في قبران في طوس وهذين البيتين في
علي ومقطوعة رثاء الحسين وهي لا تغني واسكنه جهد المقل وعسى ان
تمن الايام وتظهر هذه الكنوز .

من اقوالهم

تراجع هذه الاقوال فترى فيها من المتناقضات ما تدهش له
وتتعقبها فتدوب امام البوتقة فاذا هي خبث الحديد فلمنبحشها على
ضوء الحقائق .

« كان دعبل اطروشاً في قفاه سلعة »

اما انه لم يكن اطروشاً فقد دل عليه انه كان يحب الغناء وانه
كان له غلامان قد سموها وهما ثقف وثقيف واية لئلا للاطروش
بالغناء ؟ وجميع من قابلهم لم يظهروا انه كان اطروشاً - أي أصم -

الا اذا كان امسى اطروشاً في آخر ايامه حين لم يبق له حظ في الغناء .

اما سلعته فقد روي ان دعبلاً نظر في المرأة فضحك فقبل له مم
تضحك ؟ فقال رأيت السلعة وهي في عنفقتي فذكرت قول ابي سعد
وسلعة سوء به سلعة ظلمت به فلم يفتصر

فالفهوم ان السلعة كانت في عنفقتي ، فكيف صارت في قفاه ؟

وهل يستطيع ان يراها بالمرآة اذا لم تكن في وجهه ؟

« كان يشرب الخمر ويسمع الغناء » .

اما انه كان يشرب ويسمع الغناء فقد كان كثير من شبان الكوفة يشربون ويسمعون الغناء وقد روى الرواة له ابياتاً قالها لابي نهشل بن حميد الطوسي وقد نسك بعد فتمكه ولزم الحرم .

انما العيش في منادمة الاخر---وان لا في الجلوس عند الكعاب (١)
وبصرف كأنها السن البرق اذا استعرضت رقيق السحاب
ان تكونوا ترككم لذة العيد---ش حذار العقاب يوم العقاب
فدعوني وما الذ واهوى وارفعوا بي في صدر يوم الحساب
فاذا كان العيش عند دعبل هذا الذي وصف فيها خليجة سمعية ويا
لطول شقائه وتمسه . أليتي وما يلد ويهوى كان هـ هذا الجهاد
الطويل؟؟ وهل يحتاج هذا العيش الهين الى ذلك الجلال والصراع؟
اعداده الهجاء : ومثل هذا ما يعزى اليه انه كان يمد الابيات
في الهجاء فاذا سئل قال لا اعلم حظ من يكون . ولماذا هذا الاستعداد
والشعر اسبق الى لسانه من كلامه ؟ ما ذاك إلا ليظهروا لؤم دعبل .
قول : يدللون على لؤم دعبل بقول آخر هو اشد منه وينسبونه

(١) جمع كعبة ولم تسمع واسكنها تقاس .

الى محمد ابن الأشعث يقول دعبل « ما كانت لأحد قط عندي منه
إلا تمنيت موته » .

ما رأينا من فعل دعبل واخلاصه لأهل البيت وغيرهم مثل هذه
الخلال السيئة واللؤم المزري وان هذا الطبع الصافي والعقيدة الراسخة
والتسامي الذي رافقه قرنا كاملاً ليربثا به عن هذه الخمازي .

اما احاديث عبدالله بن طاهر عنه ففيها نظر وقد فندنا بعضها
سابقاً وخصوصاً عندما جعل يعدد مساوئه واحدة واحدة حتى أربى
على العشر مبتدئاً بقوله كان الرشيد سبب نعمته فما مات حتى هجاه ،
ثم هجا المأمون ، ثم هجا طاهراً ، ثم المعتصم ، ثم ابن أبي داود ، ثم
الحسن بن وهب ، ثم انحدر فقال ثم هجا زوجته ، وجاريته ، ثم اخاه
وآل بيته ، وهو يورد هذه الخمازي ، ولم تسمع له بحسنة عنده .

ثم رأينا شعره في حبه آل الخزاعين حتى كل اليمنيين وكل هذا
الهجاء قد دفعناه واحداً واحداً .

واذا كان جزاء دعبل من اميره وصديقه عبدالله بن طاهر
الخراعي وقد أفرغ عليه مدحه اذا كان هذا جزاؤه منه فلا أدري
من منها كان أهجى للآخر أدعبل أم عبدالله بن طاهر ؟

ثم لا بد لنا من خبر آخر وفيه يظهر كرم عبدالله بن طاهر هذا
فاذا دعبل يزوره في خراسان بعد ان اصبغ والياً عليها بعد ابيه
فيناديه ويعطيه كل يوم عشرة آلاف درهم وفي كل شهر خمسة عشر
يوماً فلما حصل له مائة وخمسون ألف درهم قواري دعبل عنه وانقطع
عن المنادمة فشق ذلك على عبدالله فكتب دعبل له :

هجرتك لم اجررك من كفر نعمه وهل ترتجى فيك الزيادة بالكفر
ولكنني لما اتيتك زائراً فافرطت في بري عجزت عن الشكر
فان زدت في بري تزيدت جفوة ولن يلتقي حتى القيامة والحشر
فاذا كانت زيارة واحدة لابن طاهر اكسبته كل هذا المال فكم جمع
من الاموال ؟ وروى ابن عساكر لابن طاهر هذا قال :

دخل دعبل على المعتصم فمدحه فقال المعتصم « اسألني ما احببت »
فقال دعبل « مائة بكرة » (البكرة عشرة آلاف درهم) فقال تمهلي
مائة سنة وتضمن لي اجلي معها قال قد امهلتك ما شئت وخرج
مغضباً من عنده فلقي خصيماً كان قد عوده ان يدخل مدائحاً الى امير
المؤمنين ويحمل له سهماً من الجائزة اذا قبضها قال : ويحك اني كنت
عند امير المؤمنين واغفلت حاجة لي ان اذكرها له افاذكرها في أبيات

وتدخلها عليه ؟ قال : نعم ولي نصف الجائزة فما كسه ساعة ثم اجابه
الى ان يجعل له نصف الجائزة فاخذ الرقعة وكتب فيها :

بغداد دار الملوك كانت حتى دهاها الذي دهاها
ما غاب عنها سرور ملك دعا (١) الى بلد سواها
ما سرورا تسرورا (٢) بل هي بؤس لمن رآها
يارب عجل لها خرابا (٣) برغم انف الذي ابتناها

وختمها ودفعها الى الخصي فادخلها الى المعتصم فلما نظر اليها قال
للخصي من صاحب هذه الرقعة ؟ قال : دعبل يا امير المؤمنين وقد
جعل لي نصف الجائزة . فطلب فكأن الارض انطوت عليه فلم يعرف
له خبر فقال المعتصم اخرجوا الخصي واجيزوه بالف سوط فانه زعم
ان له نصف الجائزة فقد اردنا ان نجيز دعبل بالف سوط .

وهذه الاسطورة لا يخفى اظهار وصفها على اقل باحث فلم يكن
دعبل ممن يدخل على المعتصم ويدحه ولا كان الخصي يقاسم الشعراء

(١) في ابن عساكر (اعاده الى) فصحناء .

(٢) وكانت (ساءراء تسر من رأى) .

(٣) كانت خزايا بالخاء والراء وتصحيحها خرابا كما يقتضي .

جوائزهم وكيف اجاز المعتصم كل الجائزة للخصي وليس له إلا
النصف ؟

رواية اخرى :

دخل دعبل على عبدالله بن طاهر فانشده وهو ببغداد :
جئت بلا حرمة ولا سبب اليك إلا بجرمة الأدب
فأقض ذممي فاني رجل غير ملح عليك بالطاب
فانتقل عبدالله ودخل الى الحرم ووجه اليه بصورة فيها الف درهم
وروايه ابن عساكر ستين الف درهم وكتب معها .

عجلتنا فأتاك عاجل برنا ولو انتظرت كثيره لم يقلل
نخذ القليل . كن كانك لم تسئل ونكون نحن كائننا لم نفعل
وتكون هذه الرواية حقيقية وعلاقتهما هذه العلاقة ويعزو اليه
كل هذه الاقاويل ؟

ومن الروايات النادرة : قال دعبل « كان لي صديق متخلف يقول
شعراً فاسداً مرذولاً وانا انهاء عنه اذا انشدني ، فانشدني يوماً :
ان ذا الحب شديد ليس ينجيهِ الفرار
ونجا من كان لا يمشق من ذل الخازي

قلت له هذا لا يجوز، البيت الاول على الراء والثاني على الزاء قال
لا تنقطه قلت له الاول مرفوع والثاني مخفوض قال انا اقول له
لا تنقطه وهو يشكله فاذا صحت هذه الرواية فما كان اوسع صدره
واحتياله واذا كانت من اختراعه فما اعلمه بمخابيء القلوب وبآداب
المجالس وسعة التخيل، ولكن درسنا دعبلاً يبعد مثل هذه الروايات
عنه .

واغرب رواية وافضحها قول ابن عساكر .

« قيل هجا المعتصم فقتله » ويقول قبلها مات سنة ٢٤٦ هـ . ومن
له اقل المام بالتاريخ يعلم ان سنة ٢٤٦ هـ هي السنة قبل الاخيرة التي
قتل فيها المتوكل فيكون دعبل قد عاش بعد المعتصم كل خلافة
الوائق حتى وخلافة المتوكل .

جَدَّتْ عَلَى الْأَهْوَارِ

وكان لهذا الليل من آخر ، ووجد دعبل من يصبه على خشبته التي حملها عشرات السنين وبطريقة فظيمة جداً ، كأن هذه الغرائب كانت تتعقب هذا الشيخ الذي لم تقو الايام على جسمه ولا نفسه فقد استمر على جلاده المتواصل وقد أشرف على المائة وظل يتطوح في المهالك والاسفار ، ومع تبججه « واداني بمسالك الطرق » فقد تطوح وضل ولم يسلم .

وكان ان هجا مالك بن طوق التغلبي هجاء مرأ مكرراً ولم اعلم السبب الباعث اليه ، فنه :

سألت عنكم يا بني مالك في نازح الارضين والدانية
طراً فلم تعرف لكم نسبة حتى اذا قلت بني الزانية
قالوا فدع داراً على يمنة وتلك ها دارهم ثانية

وهو من الهجاء المقذع ومثله من الهجاء المرير :

الناس كلهم يسعى لحاجته ما بين ذي فرج منهم ومهموم

وما لك ظل مشغولاً بنفسه يرم عنها خراباً غير مرموم
يمني بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم
فتمتقبه مالك حتى هرب منه الى البصرة وعليها اسحق بن العباس
بن محمد ابن علي أحد امراء بني العباس فاشتدت غيرته على النزارية
والتي القبض على دعبل بحاسبه بحرم صفح عنه الخلفاء والوزراء
والقواد منذ ثلاثين سنة على الاقل - وكم للايام من غرائب ؟
وتخاذل الشيخ امام هذه الحقيقة المرة فجعل يتبرأ من القصيدة
اي مما في القصيدة من الابيات التي يفخر بها على قريش والنزارية
ويقول ان اعدائي كابي سعد وامثاله هم الذين دسوا هذه المخازي
ويحلف حتى اعفاه من القتل ومدته وضربه بالعصا وعامله اشد معامله
وقام من تحت الضرب وهو بين الحياة والموت . وما اقوى جسم دعبل
في هذه السن على احتمال مثل هذا !
ثم هرب منه الى الاهواز وهناك تمتقبه مالك بن طوق فبعث
رجلاً واعطاه على قتله عشرة آلاف درهم فلم يزل يطلبه حتى وجده
في قرية من نواحي السوس فاغتاله بعد صلاة العتمة ضرب ظهر قدمه
بعكاز لها زج مسموم فمات من غده .

هكذا انتهت هذه الحياة الطويلة التي رجت أهل زمانها خلفاء
وشعراء وعظماء رجاً غنياً .

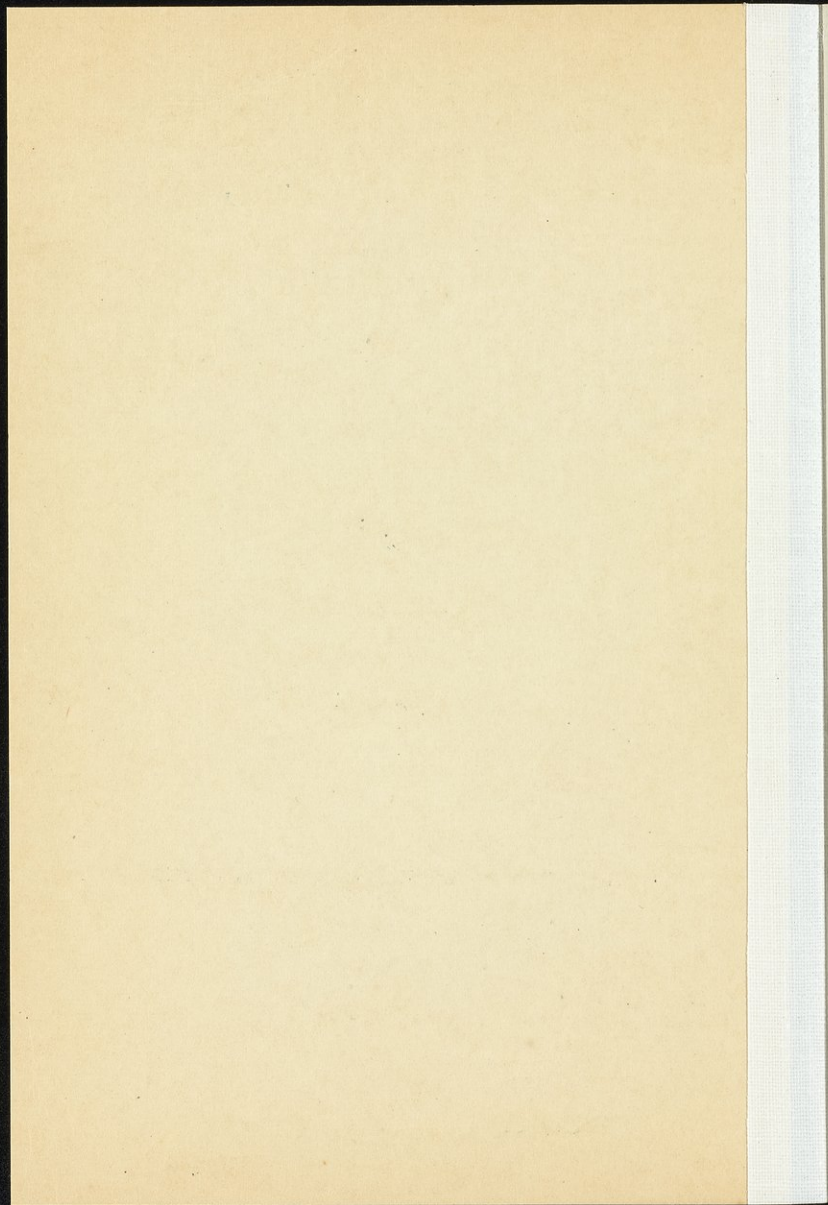
وقد وفي له صديقه البحتري وهو في أوج مجده وقد تذكر نسيمه
أبا تمام فقال :

قد زاد في كلني واوقد لوعي	مثنوي حبيب يوم مات ودعبل
اخوي لم تزل السماء قحيلة	تفشأ كما بساء منن مسبل
جذث على الاهوار يبعد دونه	مصرى النعي ورمة بالموصل

المراجع

- ١- الاغانى مجلد ١٨
- ٢- ابن خلكان مجلد ١
- ٣- ابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء
- ٤- معجم الادباء لياقوت مجلد ٤
- ٥- ابن عساكر مجلد ٥
- ٦- تاريخ بغداد للخطيب مجلد ٨
- ٧- الكشي معرفة اخبار الرجال
- ٨- الكامل للمبرد مجلد ٢
- ٩- الفهرست لابن النديم
- ١٠- الموشح للمرزباني
- ١١- الكامل لابن الاثير
- ١٢- المسعودي
- ١٣- معاهد التنصيص على شواهد التنصيص

- ١٤ دائرة المعارف الاسلامية باللغة الانكليزية
- ١٥ مختصر تاريخ العرب للسيد مير علي بالانكليزية
- ١٦ عصر المأمون للرقاعي مجلد ٣
- ١٧ الرسالة للسنة الخامسة (١٩٣٧) صفحة ١٥٨٧
- ١٨ المراجعات للعقاد



عبد الأمير الساهر

سلسلة تربط بين الماضي والحاضر وتزج بين القديم والحديث .

» شهرية تعالج شتى المواضيع بأقلام حرة تمثل الأدب الحي
الرفيع والرأي المجرد الحر .

يصدرها

عبد الأمير السبيتي

بإشراف

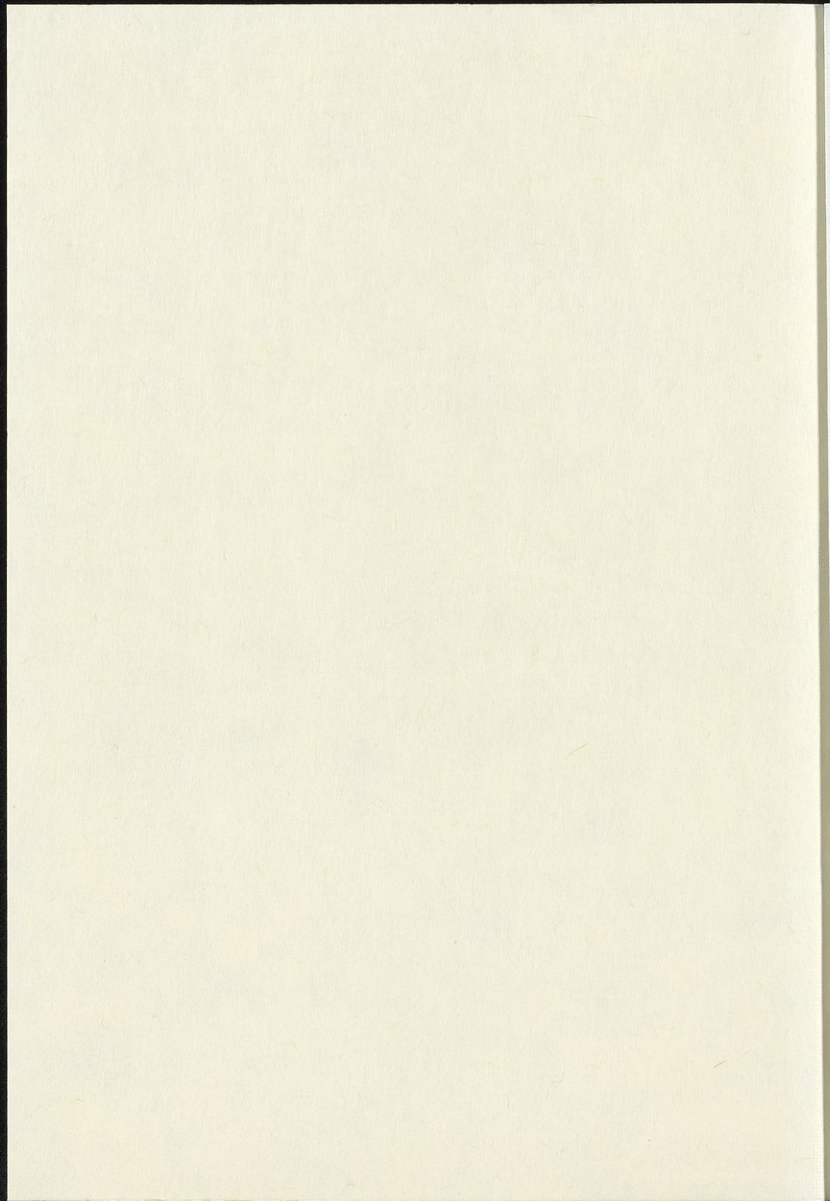
جماعة من أعظم المهكمين

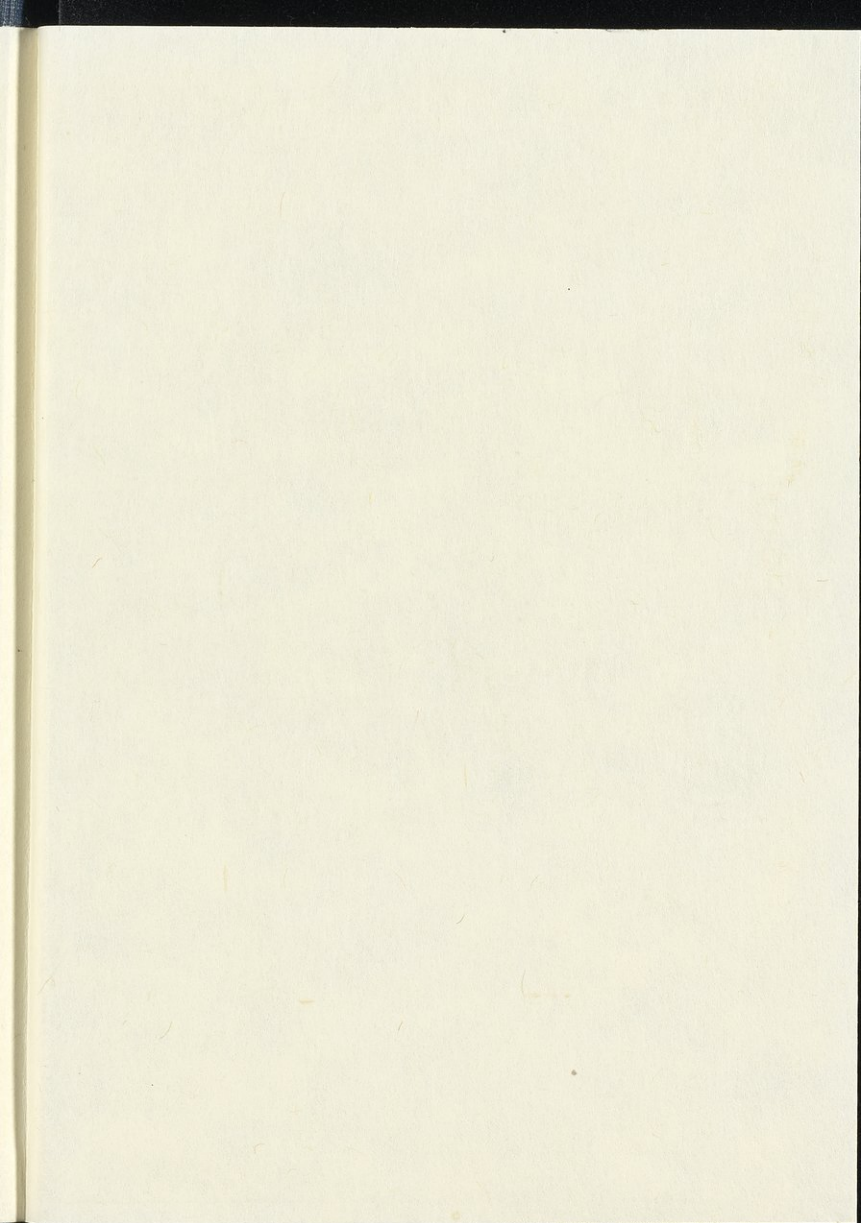
الثنى : ٨٠ فلساً في العراق

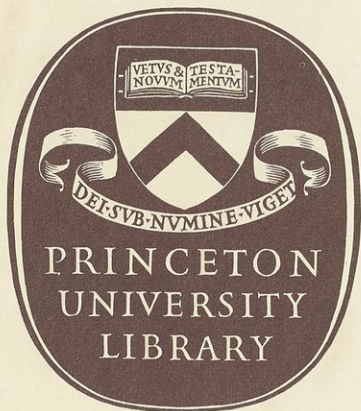
١٠٠ » أو ما يعادلها في الخارج .

جميع المراجعات مع

عبد الأمير السبيتي - السكاظية







(NEC)
PJ7741
.D5
Z712
1950z